

عالم القبر والبرزخ

إرشادات قرآنية
ونصائح محمدية

يروها
العالم الرباني
الشيخ محمد أمين المامقاني

إصدار
دار الحكمة واليقين

هذا الكتاب يهدى ولا يباع هدية مشروطة
بقراءته في كل شهر مرة في الأقل، ويمكن التناوب
في قراءته مع الأقرباء أو الأصدقاء، ومن لا يقدر
على الالتزام بالشرط يهديه لمن يثق بالتزامه
بشرط القراءة في كل شهر، وثواب الهدية إلى
روح حبيب الله محمد (ص) وآل محمد (ص)
وقمر بني هاشم أبي الفضل العباس (ع)

إهداء

مكتب المرجع الديني

آية الله العظمى

الشيخ محمد أمين المامقاني

دامت بركاته

النجف الأشرف - شارع الرسول (ص)

www.mamakani.com

info@mamakani.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم ومعرفة قرآنه الحكيم وأوليائه
المتقين وصلى الله على تمام الأنبياء والمرسلين والأوصياء
والصالحين لاسيما خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله وسادة الأوصياء
آل بيت محمد وعلى من تبع بإحسان إلى يوم الدين .

ماذا بعد الموت ؟

هذا السؤال يتكرر كثيراً في أذهان المؤمنين بالله ورسوله
والمؤمنات ويرد في استفساراتهم عما يلقاه الإنسان بعد الموت وعما
سمعوه من أخبار القبر وضغطته والبرزخ وعذابه ، وقد كثر السؤال
أخيراً عندما عرض بعض مواقع الانترنت أصواتاً بشرية تصرخ من
عذاب مستمر متصل ينزل بها ، قد قضت الصدفة أن تسجلها بعض
أجهزة الفحص الجيولوجي التي نصبتها بعض الشخصيات العلمية في
طبقات الأرض الأولى ، وغرضهم الفحص عن أصوات تحركات
طبقات الأرض وما يحصل فيها من زلزلات وتحركات ونحوها ،
وفوجئوا بصرخات بشرية معذبة فعرضوها على بعض علماء الدين
- مسلمين ومسيحيين - ليتأملوا فيها ويعرفوا حقيقتها فتوصلوا إلى
حقيقة - وبالإجماع - إلى أنها أصوات البشر المعذب في قبره في
تلکم الأرض المفحوصة .

فكان اكتشاف الصرخات البشرية وعرضها من هؤلاء العلماء مؤكداً لما أجمع عليه المسلمون وأرباب الديانات كلها من حساب ملائكة الله سبحانه لعباده في عالم القبر ومن تعذيب المجرمين والظالمين والعاصين والفاسقين عن أمر الله سبحانه في عالم الدنيا قبل الموت، فكان هذا حافزاً لنا للبعد عن معصية الله سبحانه.

وكان اكتشاف الصرخات البشرية رداً علمياً قوياً لشبهات المنكرين وإشكالاتهم حينما يقولون : يموت الإنسان ويصير جماداً لا يحس ولا يرى ولا يسمع ، وهكذا نحن لا نسمع من الموتى عذاب العاصين وصرخاتهم ولا نرى نعيم المتقين وسرورهم -كما يدعون- . ونزيدهم جواباً : إن عيننا الباصرة وأذنا السامعة لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية والروحية التي تتعلق بما وراء عالم الدنيا: النعيم أو العذاب الحاصل في القبر- ونضرب لهم مثالين من الأمور الملكوتية الفائقة على الأمور المادية وشؤون الدنيا :

الأول : ما شهدته صحابة رسول الله (ﷺ) من نزول جبرائيل عليه وهو (ﷺ) يراه ويتكلم معه في حضورهم وهم لا يرونه ولا يسمعونه، وهكذا ملكا القبر ومحاسبا العباد في البرزخ تعجز حواسنا : أسمعنا وأبصارنا عن سماع ورؤية حسابهما وآثار سؤالهما وجوابهم لهما .

الثاني وهو محسوس بالوجدان : عندما ينام الإنسان فيرى في منامه الحيات أو العقارب تلدغه أو نحوهما من المؤذيات حتى يرشح جبينه ويعرق ويكي في نومه من شدة الألم وأذى اللدغة أو نحوهما ، ومع ذلك لا يرى الحاضرون مع النائم ولا يسمع القريبون منه ما رآه النائم ولا يحسون ما ألمه وآذاه ، فهل يمكن إنكار ذلك ؟ كلا وألف كلا .

وقد وردت إلينا بعض التساؤلات عن مصير الإنسان في عالم القبر - من مجموعة مثقفة من طلاب العلوم الأكاديمية - راغبين في التعرف الواسع أو الإرشاد إلى مصدر معتمد ، وحيث كان لي كتابة في هذا الأمر أحببت إخراجها بعد أن كانت مضامينها واعظاً لي سنين طويلة جعلتها بين عيني وفي قلبي وذاكرتي وقد لمست دورها في الاستقامة ونزاهة السلوك وأتمنى هذا الحال لجميع إخواني وأبنائي المؤمنين والمؤمنات بل أنصح كل من آمن بالله سبحانه وبرسوله (ﷺ) وبالمعاد إلى رب العباد يوم القيام ، وآمل : أن يقرأ هذه الإرشادات والنصائح المستقاة من آيات القرآن الحكيم وأحاديث السنة المطهرة ليتعرف على مصيره ومصير كل إنسان بعد حلول الأجل ونزول الموت عليه ، وأن يجعل الله بين عينيه وفي قلبه لتنبض حياته بحب الله وحب أوليائه - محمد وآله (عليه السلام) - وحب طاعته، هكذا ينبغي أن يكون حال المؤمن والمؤمنة في سلوكهما : أن يتطهر ويصلي حباً لله وقرباً منه ويصوم ويزكي ويحسب ويبرّ والديه ويحج ويعتمر حباً بالله وتقرباً من ساحة قدسه ويتورع عن محرّماته ومعاصيه حباً لله وقرباً منه فلا يظلم أحداً ولا يؤذي ولا يغتاب ولا يكذب ولا يخدع مسلماً ولا يقامر ولا يشرب الخمر ولا يزني ولا.. ولا.. كل ذلك ينطلق من حب الله وحب طاعته والتقرب منه ليستحق حب الله له وغفرانه لذنوبه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

أو يطيع الله سبحانه ولا يعصيه رجاء ثوابه ونعيمه وخوفاً من عقابه وجحيمه ومن عذاب القبر، فان للخوف أثراً في حسن السلوك

واستقامة العمل ، وقد كان السلف الصالح من العلماء والأتقياء يقرأ أخبار القبر وعالم البرزخ كثيراً، أو يسمعها من الوعاظ دائماً فيتعظ منها ويكي على أحواله خوفاً وفزعاً من عذاب القبر وموقف القيامة، وكان رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين وأئمتنا الأطهار (عليهم السلام) يكون في خلواتهم مع الله سبحانه ، هذا سيدنا زين العابدين وسيد الساجدين يكي خوفاً من أن ينقل إلى قبرٍ لم يمهد له لرقدته فيه ولم يقدم له العمل الصالح لضجعت فيه ثم يقول : ﴿وما لي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري ، وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت ، فما لي لا أبكي ؟ ! أبكي لخروج نفسي ، أبكي لظلمة قبري ، أبكي لضيق لحدي ، أبكي لسؤال منكر ونكير إياي ، أبكي لخروجي من قبري عريانا ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري أنظر مرة عن يميني وأخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قطرة وذلة﴾ .

وكان بعض المؤمنين يتخيل أن الحساب والجزاء بالخير والنعيم أو بالشر والعقاب والجحيم مختص بعالم القيامة ولا شيء في القبر، أو يتخيل أنه يودع الإنسان بعد موته في قبره ويلحد جثة هامدة لا حساب عليه ولا كتاب ، ولكن تواترت نصوص الآيات القرآنية والأخبار الشريفة بحساب القبر والتحقيق فيه عن سلوك الإنسان في دنياه ثم يصير قبره - حسب سلوكه وعمله في عالم الدنيا - ويكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، فكانت هذه الرسالة المقابلة عليكم تذكرة من القرآن والسنة بحساب القبر وما يجري عند الموت وبعد دخول القبر ، أرجو أن تكون ذخراً لفاقتي في مستقبلي .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ السجدة : ٣٠ .

هذا البيان القرآني بشارة للمؤمنين بمستقبل الخير والنعيم الذي ينتظر المؤمنين المستقيمين في صراطه الحميد ودينه المجيد ، حيث يحكي القرآن - وهو كلام الله سبحانه - عن المؤمنين الملتزمين: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ في جادة الشرع الحنيف ودينه اللطيف فلم ينحرفوا عنه - إلى يمين أو إلى شمال - هؤلاء تنزل عليهم الملائكة يبشرونهم بالأمن والسرور واللذة والنعيم في مستقبل حياتهم - وما بعد عالم الدنيا - وذلك تطيب لنفوسهم التي آمنت بالحق وجاهدت في طاعة الله والورع عن معصيته ، وأن الجنة التي وعدتم بها في القرآن بحسب سلوككم في عالم الدنيا ستجدونها وترونها بأم أعينكم في هذا العالم الأخرى المعد للثواب أو للعقاب .

وهذه الحكاية الإلهية في القرآن المجيد بشارة تقوي قلوب الناس عند سماعها كي يرغبوا في أن يؤمنوا بالله ويقتربوا من طاعته ورضوانه ويبتعدوا عن معصيته ومخالفة ديانته.

هذه الآية الشريفة تجعل دعامتين لمستقبل الخير والنعيم والجنان : أن يؤمن بالله ويعتقد وحدانيته ويقول: (الله ربي) ، ثم يستقيم في جادة الشرع ويعتدل ويسير في صراطه المستقيم ، ومن دون إجتماع العقيدة الحقة والاستقامة في السلوك لا ينال الانسان هذه المرتبة : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ بها في عالم الدنيا ببيان القرآن والسنة ، ثم أتم الله سبحانه بشارته للذين آمنوا وإستقاموا في الحياة الدنيا بقول الملائكة لهم فيما بعد عالم الدنيا : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ .

قال الله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ آل عمران : ٣٠ ، هذا في اليوم الآخر وراء دنيانا - في القبر وفي يوم القيامة - يجد الإنسان عمله في دار التكليف حاضرًا بين يديه مسجلًا - صورةً وصوتًا وحركة - والذي عمل السوء أو اعتقد الرأي السوء يجد أثره السيئ أمامه حاضرًا يودّ حيثذ لو أن بينه وبين سيئته أمداً بعيداً وفاصلاً معتداً ينجيه من أثر عقيدته أو عمله السيئ ، وهذا تحذير من الله سبحانه وإنذار لعباده من الرأي السوء أو العمل السوء ومن عقابهما الشديد : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ومن رأفته أن أعلى مقام العبد الصالح ورفعته ثم حذر وأنذر

من العمل السوء ومن الاعتقاد الباطل ، ثم قال سبحانه مخاطباً حبيبه المصطفى (ﷺ) لينا دي أتباعه وأفراد أمته: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١ ، وهذه الآية تدلنا على طريق طاعة الله ومحرك عباده نحو تبعيته وهو طريق محبة الله تعالى ومتابعة رسوله (ﷺ) ، ولا ريب في أن المؤمن بربه وبارئه يجد حب الله في قلبه ومن كان يحب الله يلزمه أن يتبع دينه ويتابع رسوله وينقاد لأوامره ونواهيه وحلاله وحرامه حتى يحبه الله ويغفر له ذنوبه ، وهذان جزاء ان - حب الله لعبده ، وغفرانه لذنوبه - مترتبان على حب العبد لربه ومتابعته لنبيه المتحققة بالاستقامة في جادة شرع الله والسير على نهج ديانتة .

هاتان الآيتان في سورة آل عمران تبيينان سبيلين ومسلكين للاستقامة في العقيدة والسلوك وتعرف المؤمن بسلاحين يتدرع بهما ضد الشيطان الرجيم الذي يوحى له زخرف القول ويوسوس لعقله باطل الوهم ليحرفه عن طريق الهداية والصلاح ويخرجه من نور الإيمان والقرب من الرحمن إلى ظلمات العقيدة الباطلة أو الأعمال السيئة ، وهذان هما: سبيل الحب الإلهي الداعي لتبعية رسوله (ﷺ) والسير على نهج ديانتة ، وسبيل الخوف والرجاء : خوف عذابه ورجاء الفوز برضوان الله المؤدي إلى الفوز بنعيمه وجنانه .

إذن من كان له عقل يفكر ويرعى مصلحته - ينبغي أن يتأمل في مستقبل حاله وما يؤول إليه أمره بعد عالم الدنيا والتكليف وبعد العيش في الحياة الزاهرة بالبلاء والآلام وبالنعيم والملذات ، فان أمامنا الموت والأجل القاصم للعمر وأمامنا حساب البرزخ وحساب القيامة

وينبغي لنا أن نتفكر في التذكرة العلوية والنصيحة الواقعية التي رواها الشيخ الكليني (عليه السلام) بسند متصل بأمير المؤمنين وزين الموحدين (عليه السلام) حيث قال : ﴿ إن العبد إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له - أي ظهر له مثال يعبر ويحكي - ماله وولده وعمله :

أ - فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنني كنت عليك حريصاً شحيحاً - أي كنت أخاف عليك من النقصان والانعدام وأسعى لتنميته - فمالي عندك ؟ فيقول له : خذ مني كفنك .

ب - فيلتفت إلى ولده فيقول : والله إنني كنت لكم محبباً وإنني كنت عليكم محامياً فما لي عندكم ؟ فيقولون له : نؤديك إلى حفرتك فنواريك .

ج - فيلتفت إلى عمله فيقول : والله إنني كنت فيك زاهداً وكنت عليّ ثقبلاً فما لي عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك .

هذه حقيقة علوية ونصيحة ملكوتية تدعونا للاعتناء بالعمل وإختيار الصالح منه وإجتنب الحرام والفساد منه فانه النافع في القبر والشافع يوم القيامة ، ولا نغتر بالدنيا ولا نخدع بالمال والعقار والذهب والفضة أو بالجاه والاعتبار والزعامة .

ومن المسلمات والاعتقادات الحتمية عند المسلمين وغيرهم : وجود الحساب بعد عالم الدنيا ، بل يعتقد المسلمون قاطبة - وبالإجماع - وجود حسابين : حساب في القبر وحساب على عرصات القيامة ، والثاني منه قد وردت فيه الآيات القرآنية الكثيرة وهو معروف عند الناس ، لكن الأول مغفول عنه أو مجهول عند كثير من الناس وفيه خصوصية لم يلتفت إليها الكثير وهو أن لا شفاعة للأنبياء والأوصياء في القبر ، فكل إنسان في عالم القبر يأخذ حقه من النعيم أو

العذاب حسب سلوكه وقد إشتهر الحديث عن أئمتنا الأبرار (عليه السلام):
 ﴿والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ ، فأما إذا صار الأمر إلينا - أي في عالم
 القيامة حيث توجد شفاعتهم - فنحن أولى بكم﴾ وقد سأل أبو بصير الإمام
 الصادق (عليه السلام): أيفلت من ضغطة القبر أحد ؟ قال : ﴿نعوذ بالله منها ،
 ما أقل من يفلت من ضغطة القبر﴾ ، وقد تكررت الأخبار بهذا المعنى .

**اللهم اجعل الموت خيراً غائبٍ ننتظره واجعل القبر خيراً بيتٍ
 نعمره واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إليك عجت الأصوات
 بصنوف اللغات تسألك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكرني عند
 طول البلاء إذا نسيني أهل الدنيا يا أرحم الراحمين .**

وهنا أحببت أن أحكي تصوير حساب القبر في ضوء البيانات
 المحمدية - وهي بيانات من معدن صافي ومصدر شافي - وهذا أمر
 مغفول عنه عند كثير من الناس، أرجو أن يكون تذكراً لي طول عمري
 ولمن رزقه الله العلم والفهم وأن يكون تبصرةً لمن لا يعرف الحقيقة
 البرزخية حق معرفتها ، وحيث أن أخبار العالم الآخر - بعد عالم الدنيا
 من القبر والقيامة - مسموعة غير محسوسة بالحواس الخمسة الظاهرة
 ولا سبيل متعارفة لإدراكها في عالم الدنيا إلا سبيل أخبار المعصومين
 الصادقين الذين يخبرون عن الله سبحانه ولا ينطقون عن هوى ، وهم
 محمد وآله الأطياب أصدق الخلق وأولياء الحق (عليه السلام) فكانت
 أخبارهم المسموعة الواصلة سبيلي لتصوير حساب البرزخ وحكاية
 أخباره وقد جعلته في فصول ثلاثة :

- الأول: بيان العوالم التي يمرّ بها الإنسان المخلوق لله تعالى .
 الثاني : بيان ما يعاينه الإنسان ساعة الوفاة .
 الثالث : بيان ما يجده الإنسان بعد وفاته في قبره ولحده
 - في الأرض أو في الماء أو أي مكان يستقر جثمانه وروحه فيه - .

الفصل الأول : عوالم وجود الإنسان

ينبغي التمهيد ببيان عوالم وجود الإنسان والمنازل التي يمرّ بها من بداية إيجاده وخلقه حتى تنتهي أمره ومحل استقراره ، حيث يستفاد من النصوص الشرعية - في القرآن والسنة المطهرين - أنه يمرّ الإنسان بمنازل - من دون اختياره بل بأمر الله سبحانه وتقديره - ويحيى في وجوده بعوالم متعددة ووجودات متباينة أشارت إليها النصوص الشريفة، ولعل أجمعها قوله سبحانه في سورة الحج : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمِ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِّن كُلِّ زَوْجٍ

بِهَيْجِ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٧٢﴾ .

وهذه العوالم هي :

العالم الأول : عالم الذرّ .

قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الأعراف : ١٧٢
وقد استفاضت أخبار المعصومين (عليه السلام) أو تواترت أحاديثهم الناطقة
بأن الله قد أخذ من ظهور بني آدم ذريتهم وأخذ إقرارهم له بالربوبية
والإلهوية وبالانقياد والإطاعة ، هذه الآية وغيرها هي دليل إبتداء
وجود الإنسان في عالم الذرّ ومروره به ، وقد خلق الله البشر أرواحاً
(أظلة) قال الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ مِيثَاقَ
الْعِبَادِ وَهُمْ أَظْلَةٌ﴾ أي أرواح لها مثال جسماني لطيف قبل ولوجها في
عالم الدنيا وحلولها في الأبدان والأجسام التي نحن عليها الآن ، كما
قال الإمام الباقر (عليه السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ... ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظَّلَالِ﴾
فسئل : وأي شيء الظلال ؟ فأجاب (عليه السلام): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ظَلِكِ فِي الشَّمْسِ
شَيْئاً وَلَيْسَ بِشَيْءٍ﴾ وتستمر الحياة الأولية للإنسان في (الظلال) لحين
ولوجها في عالم رحم الأم .

﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: أي أخذ الله الحجة والميثاق على
تلكم الأرواح ثم سألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأجابوا و﴿قَالُوا بَلَىٰ
شَهِدْنَا﴾ أي شهدت جميع الأرواح التي ذرّها واعترفت لله بالربوبية
وأعطته ميثاق الوجدانية وعهد الطاعة .

وقد أشكل الأمر على بعض العلماء- وهو أبو بصير- فسأل
الإمام الصادق (عليه السلام): كيف أجابوا وهم ذرّ - أي وهم أرواح لا نطق
عندها ولا سمع ولا لسان - فأجاب الإمام (عليه السلام): ﴿إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِيهِمْ
مَا إِذَا سَأَلْتَهُمْ أَجَابُوهُ﴾ أي جعل سبحانه بقدرته فيهم آلة الفهم فسمعوا
وفهموا السؤال وجعل فيهم آلة النطق فاعترفوا بالربوبية والوجدانية لله
سبحانه وأقرّوا له بالطاعة والانقياد لرسله وهم ذرّ وأرواح منتشرة.

وفي الخبر الصحيح انه سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن ذلك
السؤال والجواب: هل هي رؤية معاينة؟ قال (عليه السلام): ﴿نَعَمْ قُتِبَتْ
المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيذكرونه﴾ عندما يخرجهم الله إلى
عالم الدنيا ، يكشف عن تذكرهم في عالم الدنيا : فطرتهم المعجونة
بتوحيد الله سبحانه وربوبيته ، لكن لا يثبت جميعهم على وفق العهد
والميثاق الذي شهدوه في عالم الذر، بل يثبت بعضهم على العهد
والطاعة والانقياد لله سبحانه ويلتزمون بالميثاق والعهد فيعترفون لله في
عالم الدنيا بالربوبية ، ويكفر آخرون وينحرفون عن دين الله فيجحدون
ما أخذ عليهم من الميثاق والإقرار بالربوبية والطاعة وإتباع الديانة.

ومعنى الشهادة في السؤال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وفي الجواب: ﴿بَلَىٰ
شَهِدْنَا﴾ هو الشهود اليقيني والحضور العلمي الباطني دون المشاهدة

الجسمانية والرؤية بالعين الباصرة ، لعدم تعلق الأرواح بالأجسام في عالم الذر ، بل هي شهادة قلبية وحضور علمي وإقرار روحي .
 هذا العهد والميثاق يلزم البشر كلهم : يؤخذون عليه وقت الحساب في عالمي القبر والبرزخ ، وهذا العهد هو الأساس لمعرفة العباد بربهم في عالم الدنيا ، روى في (الكافي) خبراً صحيحاً عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ﴿ إن الله أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ فعرفهم نفسه المقدسة ﴾ ، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ﴿ كل مولود يولد على الفطرة ﴾ أي يولد على معرفة أن الله خالقه .

وقد ميز الله سبحانه الصادق في إقراره في عالم الذرّ من الكاذب وميز سبحانه درجة الصدق ودرجة الكذب عند كل واحد منهم ، وفي الخبر العلوي : ﴿ وميّز الرسل والأنبياء والأوصياء وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك في الميثاق ﴾ قال سبحانه في سورة الأحزاب : ٧+٨ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ هذا الميثاق أخذه الله في عالم الذرّ ونشر الأرواح وقد امتاز عنده تعالى: الصادق من الكاذب وهو العالم المحيط بمخلوقاته العارف بأحوالهم قبل خلقهم وحين خلقهم وبعد خلقهم .

وفي الخبر الصحيح في (الكافي) و(علل الشرايع) حكاية قول الإمام الباقر (عليه السلام) : ﴿ إن الله عزّ وجلّ لما أخرج ذرية آدم (عليه السلام) من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوة لكل نبي - كان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته : محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال الله (صلى الله عليه وآله) لآدم : انظر ماذا ترى ؟ فنظر آدم إلى ذريته وهم ذرّ قد ملأوا

السماء ، فقال آدم : يا رب ما أكثر ذريتي ، ولأي أمرٍ خلقتهم ، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ قال الله عزّ وجلّ : ليعبدوني لا يشركون بي شيئاً ، ويؤمنون برسلي ويتبعونهم ، ... وإنما خلقت الجن والإنس ليعبدوني وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم وإتبع رسلي ولا أبالي ، وخلقت النار لمن كفرني وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة - حاجة - بي إليك واليهم وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم : أيكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم ، ولذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والجنة والنار ﴿ صدق الله العظيم وصدق رسوله واهل بيته .

ويتلخص مما تقدم معلومات منها :

١- إن الله خلق البشر أرواحاً و(أظلة) كالذرّ المنتشر وأشدهم على نفسه وأقروا له بالربوبية وبالطاعة فكان ميثاقاً وعهداً مأخوذاً على بني آدم في عالم الذرّ وتمّت به الحجة لله عليهم في عالم الدنيا : فمن استقام على عهد الربوبية والإطاعة إستحقّ الجنة .

ومن زاغ وإغرف بالكفر أو بالفسق والعصيان - إستحقّ النار .

٢- إن العهد والميثاق الذي أخذه البارئ (ﷻ) من عموم الخلق عندما إستلّ وجودهم أرواحاً في (الظلال) هو عهد الاعتراف بربوبيته سبحانه ووحدانيته وبالطاعة والانقياد لدينه والتبعية لرسله وأنبيائه .

٣- إن الغاية الربوبية والغرض من خلق البشر - بني آدم - هو معرفة الله سبحانه وإطاعته وعبادته ولذا يولد الإنسان في عالم الدنيا وهو يحتوي فطرة التوحيد والخير والصلاح .

ويبقى الظلّ الآدمي وتستمر الروح البشرية المخلوقة في عالم الذرّ حتى تنعقد النطفة في رحم الأم وتنمو وتصلح لولوج الروح فيها،

فيأمر الله ملاكاً ييٲ الروح في ذلك الجنين المودع في الرحم وينمو ويتكامل حتى يخرج إلى عالم الدنيا وهو وجود جسماني مركب من الروح والجسم العنصري الذي نحن عليه .

العالم الثاني : عالم الرحم

شاءت الحكمة الإلهية والألطف الربوبية أن يتكاثر البشر ويتناسل من طريق التزاوج وتلاحح المياه - ماء الرجل ونطفته وماء المرأة وبويضتها- وعند إلتصاق اللقيحة في بطن الرحم الأثنوي المعد للتوالد والتناسل تتنامى شهرور أربعة تقريباً وتمرّ بمراحل متعددة ووجودات متباينة فإذا وصلت إلى مرحلة مخصوصة : أمر الخالق سبحانه ملاكاً ينفخ الروح في تلك اللقيحة المتنامية حتى يتكامل الوجود عبر شهرور أخرى فيكتمل ويحصل الطلق وينتهي بالولادة والولوج في عالم الدنيا .

وقد تكاثرت النصوص الشريفة - في القرآن والسنة المطهرين - ببيان هذه السنة الخلقية الحكيمة : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ غافر: ٦٧ + ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المؤمنون ١٢ + ١٣ + ﴿ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ الزمر:

٦ + ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾
الحج : ٥ + ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران : ٦ .

ولهذا العالم خصوصيات وأوصاف لا يهمننا أو لا يرتبط بنا التعرف عليها ، نعم قد إهتم علماء الطب - من قديم الزمان والى عصرنا الحاضر - بملاحظة خصوصيات تكوين البشر في عالم الرحم ومراقبة مراحل نمو الجنين وأعراض مرضه وسلامته وبلغوا الدرجات العليا في اكتشاف عظيم خلق الله سبحانه وحكيم فعله ولطيف صنعه وتوكيد آيات قرآنه . ثم ينتهي هذا العالم بخروج الجنين من بطن أمه وتحوله من عالم الرحم إلى :

العالم الثالث : عالم الحياة الدنيا

وهذا العالم يبدأ من خروج الجنين من عالم الرحم وليداً حتى منتهى أجله وطرو الموت عليه والانتقال إلى العالم اللاحق - عالم البرزخ - هذا هو عالم التكليف الإلهي بعد بلوغ الإنسان مرحلة أهلية التكليف ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون: ١١٥ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ القيامة: ٣٦ ، كلا لم يخلقهم عبثاً بل خلقهم لحكمة وفائدة التكليف التي تعود إليهم : قد خلق الإنسان لكي يعرف ربه - ورد في الحديث القدسي : ﴿كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف﴾ .

ورد في القرآن المجيد بيان علة الخلق في سورة الذاريات: ٥٦ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وشرحها خطبة سيد الشهداء الحسين بن علي (عليه السلام) حين خرج على أصحابه خطيباً: ﴿أيها الناس إن الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه ، فإذا عرفوه عبده ، فإذا عبده استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه﴾ وعبادته تعني طاعته في تمام شؤون الحياة وسلوكيات الإنسان ، روى الشيخ الصدوق في (علل الشرايع) انه سئل الصادق (عليه السلام): لم خلق الله الخلق؟ فقال: ﴿إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبداً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لإظهار قدرته ، وليكفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة ، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد﴾ .

هذا العالم الأدنى يعيش فيه الإنسان فترة من الزمان ثم ينتهي أجله وينتقل إلى عالم القبر والبرزخ ، وفي هذا العالم إمتحان وإبتلاء بالآلام وعذاب وفيه متاع وأنس ولذة ، قال الله سبحانه ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران : ١٨٥ ، وفي هذا العالم تكليف وأمر ونهي للعباد ، ولذا سمي بعالم التكليف وفيه يظهر الإنسان الملتزم بدينه ويمتاز من المنحرف عنه : فمن إلتمز بديانته وإستقام في جادة شرعه استحق رضوان ربه وجنانه ، ومن إنحرف وفسق عن أمر ربه ونهيه استحق عذاب الله في قبره وفي آخرته .

إذن عالم الدنيا دار تكليف وإمتحان وإبتلاء : يختبر الباري جلّ وعلا عباده في تقديراته ليمتاز (الصالح) الصابر المستقيم في عقيدته وفي سلوكه ويظهر الطالح (الفاسق) المنحرف في عقيدته أو في سلوكه فينال كل منهما جزاء عقيدته وسلوكياته في العالمين المقبلين عليه - عالم القبر والبرزخ ، وعالم الحشر والحساب- فكان عالم الدنيا وسطاً بين

عالمين :عالم الذرّ وعالم الرحم الذين لا تكليف فيهما ولا ابتلاء ولا حساب - وبين عالمين: القبر والقيامة الذين لا تكليف فيهما ولا ابتلاء لكن فيهما حساب وكتاب، هكذا شاءت حكمة الباري ولطفه (ﷺ).

وقد كلف الله سبحانه ملائكته أن يكتبوا ويصوروا أعمال العباد حتى تكون عليهم حجة دامغة حين الحساب ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس: ١٢ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: ٢٩ - أي في عالم الدنيا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٨ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الانفطار: ١٠- ١٢ .

ويتهي هذا العالم بالموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن: ٢٦ + ٢٧ ، ويتحول الإنسان بموته إلى :

العالم الرابع : عالم القبر والبرزخ

هذا العالم يبدأ بالموت ونزع الروح من الجسد ومفارقة الحياة الدنيا ﴿وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون : ١٠٠ ، ويتهي بحشر الناس على عرصات القيامة ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس : ٥١ .

والبرزخ هو الحالة المتوسطة والأمر بين أمرين ويسمى عالم القبر بالبرزخ لأنه يتوسط بين عالم الدنيا الذي فيه تكليف شرعي

وتتمتع به الناس وتلهو وبين عالم القيامة الذي تحشر فيه البشر على عرصات القيامة وتحاسب على أعمالها في عالم الحياة الدنيا .

﴿وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وسكرة الموت هي الحالة الشديدة التي تعرض الإنسان حال نزع روجه فينشغل بنفسه لما يعاينه حال موته فيكون كالسكران الذي لا يدري ما يقول وما يقال له .

وتقييد سكرة الموت بالحق إشارة إلى انها حق ثابت ضمن قضاء الله سبحانه على ابن آدم ، وكما أن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ حق ثابت كذا سكرة الموت وعذاب نزع الروح من الجسد حق ثابت ، روي عن رسول الله (ﷺ) مكرراً : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنْ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ﴾ جمع سكرة و﴿إِنَّ الْمَوْتَ أَشَدَّ مِنْ ضَرْبِ السَّيْفِ وَنَشْرِ الْمُنَاشِيرِ وَقَرْضِ الْمُقَارِيضِ﴾ وكان يدعو كثيراً ليعلمنا : ﴿اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ وروي عن عيسى (ﷺ) قوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَهَوِّنَ عَلَيْكُمْ هَذِهِ السَّكَرَةَ﴾ وروي : إن اصحاب عيسى سألوه أن يحيي لهم ميتاً فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فدعا الله بإسمه الأعظم وقال : قم بإذن الله ياسام ، فأنشق القبر فخرج منه وقد شاب نصف رأسه وقد عاش في الدنيا خمسمائة سنة وهو شاب ولم يكن الانسان يشيب في ذلك الزمان فسأل سام : أقامت القيامة ؟ قال له عيسى ﷺ : لا ، ولكنني دعوتك بإسم الله الأعظم فأيهما أحب إليك تبقى أم تعود ، فقال : يا روح الله بل أعود ، إني لأجد حرقة الموت - يعني لذعته - في جوفي إلى يومنا هذا ، ثم قال عيسى : مت ، فقال سام : بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا له .

وفي عالم البرزخ حياة مخصوصة مستمرة إلى يوم البعث والحساب العظيم ، وهذه الحياة يصاحبها الحساب- التحقيق الأولي- من ملكين عظيمين هما (منكر ونكير) يباشران الحساب مع المقبور عن معتقداته وعن سلوكياته وأعماله : السيئة والصالحة ، يعقبه نعيم الجنان أو يعقبه عذاب القبر: ضغطته للبدن والروح - وهذان الملكان يحضران الإنسان عندما يلحد في قبره أو يستقر في محله - برّ أو بحر - فيعيش فيه تبع عمله ووفق سلوكه في عالم الدنيا :

أ- إما حياة منعمة ينعم فيها الإنسان الصالح في عالم الدنيا بحسن عقيدته وحسن سلوكه ويكون ﴿قبره روضة من رياض الجنة﴾
﴿روح المحسن في ضياء وفسحة﴾ .

ب- وإما حياة عذاب وظلمة وقهر وضغطة قبر ويكون ﴿قبره حفرة من حفر النيران﴾ ﴿روح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً كما منه خلق﴾ ابتداءً - هكذا ورد في الأخبار .

وبهذه المعاني تواترت الأخبار عن رسول الله (ﷺ) وآله (عليهم السلام) حتى صار ضرورة من ضرورات الدين الحنيف ، وسنوي لكم في آخر الكتاب: قصة سلمان المحمدي (رضي الله عنه) بتفصيل هذه المعاني وينبغي من كل مؤمن ومؤمنة : قراءة الخبر الصحيح الذي يلقاه في آخر الكتاب ، وفقنا الله سبحانه لمداومة قرائته والإعطاء منه .

ثم ينتقل الوجود البشري - عقيب موت وقبر وبعث جديد- إلى عالم الآخرة للحساب وهو :

العالم الخامس: عالم القيامة

إذا شاء الله سبحانه أن ينتهي عالم الدنيا فتموت الخلائق وتفنى المخلوقات كلها حتى الملائكة الروحانيين وكل شيء في الكون - عندئذ يقول سبحانه للقيامة : كوني فتكون ويحيي الخلق من جديد وبعثهم ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ النبأ : ١٨ ، وينشر الخلائق على عرصات القيامة فتعود أجسامهم وأرواحهم بعد الموت والفناء والقبر والإضمحلال كي تحاسب عن أعمالها في عالم الدنيا، ثم ينتهي حسابهم إلى النعيم والجنان أو إلى العذاب في جهنم والنيران، هذا إعتقادنا بالمعاد يوم القيام لرب العباد ، ولا شك ولا شبهة .

نعم أشكل بعض الزنادقة على صحة الإعتقاد وإمكان المعاد الجسماني والروحاني : جاء زنديق إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فقال له : أنى للروح بالبعث ، والبدن قد بلي والأعضاء قد تفرقت ؟ فعضو في بلدة تأكلها سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها وعضو قد صار تراباً بنى به مع الطين حائط ؟ فقال له الإمام (عليه السلام) : ﴿إن الذي أنشأه من غير شيء وصوره على غير مثال كان سبق إليه - هو قادر أن يعيده كما بدأه﴾ قال الزنديق : أوضح لي ذلك ، قال الإمام (عليه السلام) : ﴿إن الروح مقيمة في مكانها : روح المحسن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً كما منه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها فما أكلته وممرقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الأرض ويعلم عدد الأشياء ووزنها ، وإن تراب الروحانيين بمنزلة

الذهب في التراب فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض - أي تنمو وتنتفخ - ثم تمخض مخض السقاء فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه فينتقل بإذن الله تعالى إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور سبحانه كهيئاتها وتلج الروح فيه فإذا استوى لا ينكر من نفسه شيء ﴿ ويعرف كل إنسان نفسه، وحينئذ يعترف الجميع ويقر بالمعاد : من أنكره في عالم الدنيا وجحده ، ومن إعتقده وأذعن به - ويقولون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ يس : ٥٢ - فيما أخبروا من المعاد يوم يقوم الناس لرب العباد ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم ﴾ وابتدأت النشأة الآخرة وقامت القيامة وبدأ عالم الحشر والنشر والحساب وتطير الكتب - صحائف الأعمال - وهنا الفرع الأكبر لما يلقاه الناس يومئذ من الحساب على ما صدر عنهم في عالم التكليف والحياة الدنيا ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ الزمر : ٧ ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ الحج : ٢ ﴿ إذا بعث ما في القبور وحصل ما في الصدور إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ العاديات : ٩ - ١١ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النمل : ٨٩ + ٩٠ .

وفي هذا العالم يجازى البشر على أعمالهم وسلوكياتهم في عالم الدنيا بعد تطير كتبهم وصحائف أعمالهم وبعد عرضهم على الحساب

يجازون بثواب و(نعيم) أو عقاب و(جحيم) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الغاشية: ٢٥ + ٢٦ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ القارعة: ٦ - ١١ ﴿الْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: ٨ + ٩ ، والوزن والموازن كناية عن الحساب والتحقيق العادل في الجزاء بحسب سلوكيات الإنسان وأعماله- الحسنة أو السيئة في عالم الدنيا والتكليف - حيث يخرج الله كتب العباد- كل كتاب يعطى لصاحبه وكل واحد من الكتب يحصي أعمال ابن آدم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما إقترفه طيلة عمره في عالم الدنيا :أحصاه الله عليهم ونسوه ، فتذكرهم الملائكة بها وتخطب كل شخص منهم : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٣ + ١٤ ، وفي الكتاب المنشور صحف أعمال العباد، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ التكوير: ١٠- وجد كل إنسان تصوير وتسجيل أعماله وأقواله وتصرفاته في عالم الدنيا وهي تشهد عليه بسوء عمله أو بحسن عمله في دار التكليف- ثم يشهد الله على كل إنسان جوارحه وأعضائه بما عمل بها وتصرف فيجزي جزاء أعماله ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إبراهيم: ٥١ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يس: ٥٤ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿ يس: ٦٥ ﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالَُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ فصلت: ١٩-٢١ .

وقال رسول الله (ﷺ) : ﴿ لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأله عن أربع خصال : عمرك فيما أفنيتيه ، وجسدك فيما أبليتيه ، ومالك من أين كسبته وأين وضعت ، وعن حبنا أهل البيت ﴾ .

وفي هذا العالم تكون الحجة البالغة لله سبحانه على جميع العباد فقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام) - في الخبر الصحيح - عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ الأنعام : ١٤٩ ، فقال (عليه السلام): ﴿ إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : عبدي أكنت عالماً ؟ فان قال : نعم ، قال له : أفلا عملت بما علمت ؟! وإن قال : كنت جاهلاً ، قال له : أفلا تعلمت حتى تعمل ، فيخصم ، فتلك الحجة البالغة لله عز وجل على خلقه ﴾ .

وفي هذا العالم ترجع المظالم من الظالمين إلى المظلومين ويطالب كل ظالم برد حقوق المظلومين ، والمظالم أنواع وألوان مختلفة حفلت كتب الفقه والحديث بعرضها ، فأى مظلمة إرتكبها الإنسان يؤاخذ عليها ويطالب بها إذا لم يفرغ ذمته منها في عالم الدنيا ، وروى الشيخ الكليني في (الكافي) بسند متصل معتبر عن ثوير عن الإمام السجاد عن الإمام علي (عليه السلام) : ﴿ إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلاً مهالاً جرداً مُرداً ﴾ أي يخرج كل إنسان من قبره أعزل مسرعاً مجرداً من الثوب والشعر ﴿ يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبية المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويردحمون دونها فيمنعون من المضي فتشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم

وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم ، وهذا أول هول من أهوال يوم القيامة ، فيأمر الجبار ملكاً من الملائكة فينادي فيهم : يا معشر الخلائق : أنصتوا واستمعوا منادي الجبار ، فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم فتتكسر أصواتهم عند ذلك وتخضع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتضرع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي ، فعند ذلك يقول الكافر : هذا يوم عسر ، فيشرف الله الحكيم العدل عليهم فيقول : أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم العدل الذي لا يجور ، اليوم أحكم بينكم بعدالي وقسطي لا يظلم اليوم عندي أحد ، اليوم أخذ للضعيف من القوي بحقه ولصاحب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات وأثيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولا أجد عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها لصاحبها وأثيبه عليها وأخذ له بها عند الحساب ، فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفى بي شهيداً - فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها ، فيمكثون ما شاء الله فيشتد حالهم ويكثر عرقهم إلى أفواههم ويشتد غمهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها ، ويطلع الله عز وجل على جهدهم فينادي منادٍ من عند الله يسمع آخرهم كما يسمع أولهم : يا معشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا : إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : أنا الوهاب إن أحببتم أن تتواهبوا فتواهبوا ، وإن لم تتواهبوا أخذت لكم بمظالمكم فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم ، فيهب بعضهم مظالمهم رجاءً أن يتخلصوا مما هم فيه... ﴿

هكذا الظلم أمره عظيم عند الله ، وحقوق الناس أمرها عسير يوم القيامة وفي القبر ، ولا بد من إرجاع حقوق الناس إليهم في عالم الدنيا أو إستبراء الذمة منهم قبل حلول الأجل ونزول الموت وفوات العمل.

وفيما سوى حقوق الناس : فان الملائكة تذهب بالمشركين إلى جهنم من غير حساب ولا يغفر الله الشرك لأحد .

بينما المؤمنون بالله الموحدون له يؤاخذهم بذنوبهم ويحاسبهم عليها ، قال إمامنا السجاد (عليه السلام) : ﴿إعلموا عباد الله إن أهل الشرك لا تنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين، وإنما يحشرون إلى جهنم زمراً، وإنما تنصب الموازين وتنشر الدواوين لأهل الإسلام﴾ وقد تنالهم شفاعة الأنبياء والأوصياء في كل أمة وقد أرجأ نبينا (عليه السلام) شفاعته للعاصين من أمته ، وهكذا أهل بيته (عليه السلام) قد وعدوا أتباعهم بالشفاعة لهم يوم القيامة وهم ﴿ لا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ الأنبياء : ٢٨- أي إرتضى الله دينه وعقيدته ﴿ ما من شفيع إلا من بعد إذنهِ ﴾ يونس : ٣، ولا يأذن سبحانه إلا لمن إرتضى دينه وعقيدته ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً ﴾ طه : ١٠٩ .

ويظهر من الروايات العديدة : أن المؤمن بالله يناله العذاب والجحيم بسوء أعماله ويدخل جنهم وتمسه النيران بسوء عقيدته أو بمعاصيه ، ثم يشفع له نبيه (عليه السلام) وآله (عليه السلام) ولا يخلد الموحد لله سبحانه في النار بل يعفى عنه بشفاعة النبي (عليه السلام) وأوصيائه (عليه السلام) . هذا عرض لعوالم الإنسان ومنازل حياته : روحاً وجسداً، قلباً وقالباً - وهو مختصر نافع لمن أراد البصيرة والموعظة وأحب التذكرة والتبصرة، ويصلح ذخيرة نافعة وتذكرة جامعة لأحوال المستقبل .

وقد أحببت أن أشرح عالم القبر والبرزخ وما يجري فيه - في ضوء بيانات المعصومين (عليه السلام) - فان هذا الأمر لا تبلغه الوسائل الحسية ولا تكشفه الأدوات المخبرية والفحوصات المادية ، فينحصر العلم بالتفاصيل من طريق رب العالمين (عليه السلام) بواسطة بيانات سفرائه المنتجبين وأحاديث أوليائه المطهرين محمد وأهل بيته الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين .

الفصل الثاني : الموت والمعاناة

يبدأ عالم البرزخ بموت الإنسان ونزع روحه من جسده،
والموت حق لا يمكن لأحد أن ينكره فانه محسوس ملموس
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠ + ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
آل عمران : ١٨٥ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص : ٨٨ .

وفي وصف الموت وردت النصوص العديدة في القرآن والسنة
تصف الموت وما يلقاه الإنسان حين الموت :

١- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُومَ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ
كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة : ٨٣- ٩٦ .

٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾
السجدة: ٣٠.

٣- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يونس: ٦٣-٦٤ .

٤- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
 أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الذل والهوان .
 ٥- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
 وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ الأنفال : ٥٠ .

٦- ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ
 لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ التوبة :
 ١٠١، عذاب الموت وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب جهنم العظيم .

وقد وردت الأخبار عن رسول الله (ﷺ) وأهل بيته (عليه السلام) في وصف الموت وأنه ﴿للمؤمن كأطيب طيب يشمه فينعس لطيبه
 وينقطع التعب - يعني تعب الدنيا والآما - وينقى كما ينقى الثوب من الوسخ
 وهو كنز ثياب وسخة وفك قيود وأغلال ثقيلة واستبدالها بأفخر
 الثياب وأطيبها روائح﴾ و﴿انه أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا من
 دار النكد إلى نعيم الأبد﴾ .

بينما الموت ﴿للكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشد من
 ذلك وأعظم عذاباً وثبوراً يرد عليه﴾ وقال علي بن الحسين (عليه السلام) :
 ﴿أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات : الساعة التي يعاين فيها ملك الموت ،
 والساعة التي يقوم فيها من قبره ، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله
 تعالى : فإما إلى الجنة وإما إلى النار﴾ .

وقال الحسين سيد الشهداء (عليه السلام) يوم عاشوراء بكر بلاء مخاطباً
 أصحابه : ﴿صبراً بني المكارم ، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس
 والضراء إلى الجنان الواسطة والنعيم الدائمة فأيكم يكره أن ينتقل من سجن
 إلى قصر ؟ وما هو - الموت - لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن

وعذاب ، إن أبي حدثني عن رسول الله (ﷺ) : إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم .

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه حكى الحديث القدسي الربوبي الذي يحكي حال العبد الصالح المستحق للجنة وحال العبد الطالح المستحق للنار، وهو قول الله سبحانه وكلامه : ﴿ ما من عبد أريد أن أدخله الجنة إلا ابتليته في جسده ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا سلطت عليه سلطاناً ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا ضيقت عليه في رزقه ، فإن كان ذلك كفارة لذنوبه وإلا شددت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا ذنب له ، ثم أدخله الجنة .

وما من عبد أريد أن أدخله النار إلا صححت له جسمه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا أمنت خوفه من سلطانه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا وسعت عليه رزقه ، فإن كان ذلك تمام طلبته عندي وإلا يسرت عليه عند الموت حتى يأتيني ولا حسنة له ثم أدخله النار .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ إذا قبضت الروح فهي مظلة فوق الجسد : روح المؤمن وغيره - ينظر إلى كل شيء يصنع به ، فإذا كفن ووضع على السرير وحمل على أعناق الرجال عادت الروح ودخلت فيه فيمد له في بصره فينظر إلى موضعه من الجنة أو من النار - حسب حاله وعمله في الدنيا - فينادي بأعلى صوته إن كان من أهل الجنة : عجلوني ، وإن كان من أهل النار : ردوني ، وهو يعلم كل شيء يصنع به ويسمع الكلام .

وهنا بشارتان في أحاديث الرسول (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) جعلتا للمؤمن التقي والعبد الصالح المستقيم في حياته الدنيا ، وهما :

البشارة الأولى : أخبرنا بها الإمام الصادق (عليه السلام) في حديثه الشريف : ﴿ إذا قبض الله روح المؤمن سعد ملكاه إلى السماء فقالا : ياربّ عبدك نعم العبد كان سريعاً إلى طاعتك بطيئاً عن معصيتك وقد قبضته إليك ، فما تأمرنا من بعده ؟ فيقول الجليل الجبار: اهبطا إلى

الدنيا وكونا عند قبر عبدي ومجداني وسبحاني وهللاني وكبراني واكتبنا ذلك لعبدي حتى ابعثه من قبره ﴿ .

البشارة الثانية: ما ورد في أخبار المعصومين (عليه السلام) مستفيضاً من حضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) عند المؤمن الموالي الصالح حين تحضره الوفاة فينظر إليهم ويجد منهم وعد الخير وبشارة الأمن فيستبشر بهم وهو قول الله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يونس: ٦٣+٦٤، ويناديه ملاك بقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴾ الغاشية: ٢٧-٣٠، فتقر عين المؤمن التقى ويفرح ويحب لقاء الله سبحانه عندئذ ولا يرضى بالعودة إلى الدنيا .

وغير المؤمن الموالي يحضرون (عليهم السلام) عنده لحظة وفاته ويراهم أيضاً لكن يراهم بنحو يسوئه ولا يسره حضورهم ، فيندم على سوء عمله في الدنيا أو على سوء عقيدته ويتحسر ويتمنى العودة إلى عالم الدنيا ليعمل صالحاً ، وقد حكى سبحانه في سورة المؤمنين : ٩٩+ ١٠٠ : قول الكافر حينما يشرف على الموت فيسأل الله (عز وجل) الرجوع إلى عالم الدنيا : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ في دنيائي من مال ونعيم ، فيجيبه سبحانه بالكذب: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ هو مجرد كلام، لو كان فيه خير لعمل صالحاً عندما كان في عالم الدنيا ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ الأنعام: ٢٨، فلا خير فيهم ولا يستحقون الرجوع إلى

عالم الدنيا، بل يستحقون العذاب والمهانة فيفتح من قبورهم باب من أبواب النار ويصير القبر حفرة نار تحوطه وتحرقه وتعذبه .

ومن القريب جداً أن حضورهم (عليه السلام) عند المؤمن والفاسق والكافر حضور مخصوص - بجسد مثالي لطيف - لا يراه غير المحتضر المشرف على الموت نظير حضور ملك الموت وأعوانه عنده لقبض روحه ونزعها عن جسده . ويؤكداه : اعتقادنا القطعي بشهادة هؤلاء الأكرمين المقربين ﴿ ما منا إلا مقتول أو مسموم ﴾ والشهيد حي عند الله سبحانه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون ﴾ آل عمران : ١٦٩ .

وينبغي أن يعلم الجميع : أن هذه البشارة العظمى يستحقها المؤمن الموالي لمحمد وآل محمد (عليهم السلام) التابع لهم والسالك طريقتهم والسائر في صراطهم المستقيم وهو التقي الورع عما حرم الله روى البرقي في كتابه (المحاسن) أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال لبعض أصحابه : ﴿ والذي بعث محمداً بالنبوة وعجل روحه إلى الجنة : ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور أو تبين له الندامة والحسرة إلا أن يعاين ما قال الله عز وجل في كتابه : عن اليمين وعن الشمال قعيد ، وأتاه ملك الموت يقبض روحه فينادي روحه فتخرج من جسده :

فأما المؤمن فما يجسّ بخروجها وذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ثم قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لإخوانه ووصولاً لهم ﴾ ﴿ وإن كان غير ورع ولا وصولاً لإخوانه قيل له : ما منعك من الورع والمواساة لإخوانك ؟ أنت ممن انتحل المعجبة بلسانه

ولم يصدّق ذلك بفعل وإذا نقي رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (عليه السلام) لقاها
معرضين مقّطين في وجهه غير شافعين له ﴿ .

ومن هذا الحديث يتضح بجلاء أن الإيمان والموالاة إذا لم ينضم
إليهما الورع عن محارم الله لا ينفع للراحة عند الموت، كما لا ينفع
للسرور في القبر وفي الآخرة ، فهذا الحديث الشريف حافز للمؤمن
العاصي ومحرك لمرتكب المحرمات ومشجع على التوبة والإبتعاد
عن المعصية وعلى التوبة النصوح الصادقة قبل حلول الأجل .

وإلا إذا لم يبادر إلى التوبة ﴿جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وهو
عاص فيحاسب في قبره على ما ظلم في عالم الدنيا وما عصى به ربه
﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ق : ١٩ - أي ذلك الموت الذي كنت تهرب
منه وتعالج نفسك من الأمراض الخطرة والعوارض القاهرة كي لا
يقرب منك الموت لكنه آت رغم العلاج والتطبّب والفرار .

ورد في الخبر الصحيح عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله : ﴿عجب كل
العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة ، وعجب كل
العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى﴾ .

فالتوبة أيتها النفس الأمّارة بالسوء والموحية بالعصيان وأيها الأخ
المؤمن والأخت المؤمنة، التوبة بل التوبة السريعة والندامة العاجلة
على كل معصية ثم التوبة المؤكدة بترك معصية الرحمن والعودة إلى
طريق الإيمان بالعمل الصالح وتدارك الواجبات وتصفية الحسابات
مع من ظلمت من العباد بإرجاع حقوقهم وردّ مظالمهم لتتفع التوبة
وتتم الأوبة ، ومن الله التوفيق وعلى الإنسان السعي والمبادرة .

فإذا حصلت منك - أيها المؤمن وأيتها المؤمنة - التوبة الصادقة من معصية الله ومحرماته وأرجعت حقوق الناس ومظالمهم قبل حلول الأجل فنزل بك الموت حضرك رسول الله (ﷺ) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقالوا جميعاً لملك الموت: (إنه كان ممن يحب محمداً وآله ويتولى علياً وذريته فأرفق به) فيجيبهم ملك الموت: (والذي إختاركم وأكرمكم وإصطفى محمداً ﷺ بالنبوة وخصه بالرسالة لأننا أرفق به من والد رفيق وأشفق عليه من أخ شفيق) ثم ينظرون (عليهم السلام) إلى المؤمن أو المؤمنة فيستبشر برؤيتهم (عليهم السلام) ويفرح بهم فيخاطبونه: ﴿أما ما كنت تحذر فقد آمنك الله منه ، وأما ما كنت ترجو فقد آتاك الله به ، إفتح عينيك فانظر إلى ما عندك﴾ فتفتح أيها المؤمن وأيتها المؤمنة عينيك - كما في الخبر الشريف- فتنظر إليهم (عليهم السلام) واحداً واحداً ، ويفتح لك باب إلى الجنة فتنظر إليها ويقال لك : هذا ما أعد الله لك - وهؤلاء رفقائك - وتسمع النداء الملكوتي : ﴿يا أيها النفس المطمئنة إلى محمد ﷺ وأوصيائه عليهم السلام : إرجعي إلى ربك راضية بولاية محمد وآل محمد عليهم السلام مرضية بثواب الله فادخلي في عبادي مع محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وادخلي جنتي﴾ ثم يصير قبرك ومستقرك روضةً من رياض الجنة والحمد لله الذي هدانا للإيمان بالله سبحانه وبرسوله (ﷺ) وبأهل بيت محمد (عليهم السلام).

الفصل الثالث مجريات عالم القبر والبرزخ

عقيدتنا - أخذاً من الكتاب والسنة المطهرين - أن وراء عالمنا وحياتنا الدنيا برزخاً في القبر مستمراً إلى يوم البعث والحساب على عرصات القيامة ، وأن الإنسان عندما يموت ويقبر في مقره - أي في لحدّه من الأرض : اليابسة أو الماء أو نحوهما - تردّ روحه إليه ويحيى بنحو حياة يختارها الله له ، هي حياة مخصوصة فيها إحساس باللذة والألم ، فيأتيه الملكان - منكر ونكير ، أو ناكر ونكير - فيسألانه عن ربّه وعن نبيّه وإمام زمانه ويحقّقان معه عن أعماله - صالحة أو طالحة - فيكون قبره تبع عقيدته ووفق عمله في عالم الحياة الدنيا : إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران - كما جاء في أخبار المعصومين (عليهم السلام) - فمن كان عمله صالحاً لم يكن عنده ظلم لعباد الله أو عصيان لله سبحانه كان قبره روضة من رياض الجنة ، ومن كان عمله سيئاً قضى حياته بالظلم أو عصيان الله سبحانه كان قبره حفرة من حفر النيران ، ومن خلط عمله حسناً بآخر سيئاً - كما هو حال غالب الناس - حوسب على سيئاته وحبس وعوقب بقدر سوء عمله ثم يفرج عنه ويصلح قبره .

ولابد من الاستدلال على هذه العقيدة من القرآن المجيد ومن السنة المطهرة - وهما أصدق الكلام وأقوى الحديث - فنقول :

١- قال الله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ المؤمن : ٩٩- ١٠٠ .

هذه الآية الشريفة وسط آيات عديدة تذكر الناس بعظمة الخالق سبحانه وعظيم سلطانه على ملك السماوات والأرض وكل شيء في الوجود والكون ، وتدحض دعاوى الكافرين بالله (ﷺ) أو المنكرين للمعاد إليه والحضور عنده للحساب ، وتبين هذه الآية وتنذر بالحياة البرزخية المستمرة إلى يوم الحشر والنشر على عرصات القيامة .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ أي إذا حلّ الموت فعلاً في أجسادهم ونزعت أرواحهم منها بأمر الله وإذنه (ﷺ) ورأى الحق وعاین آثار سوء عقيدته وإنكاره أو عاین سوء عمله وفساد سلوكه - تمنى الرجوع إلى عالم الدنيا والتكليف كي لا يكذب بآيات الله ويعتقد صالحاً ويعمل صالحاً يرضى الله به .

لكن هذه أمنية يخاطب العاصي بها الملائكة المتصددين لقبض روحه - كي يتوسلوا إلى الله سبحانه بإرجاعه إلى الدنيا ليعمل بجسده صالحاً فيما ترك فيها من مال أو عيال أو عقار أو نحوها : أن يصلي لله ويصوم ويؤتي زكوة ويحرم من حرام ومعصية الله (ﷺ) ، لكن هذه أمنية يروجها من الملائكة الموكلين بقبض روحه بعد أن أساء في عالم الدنيا : إعتقد باطلاً أو عمل سيئاً أو ظلم مسلماً - ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْرَدُوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ الأنعام : ٢٧+٢٨ .

﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيأتي الخطاب الإلهي : إنتهى العمل وجاء الأجل وحل الموت فيك فلا رجعة .
 ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ولا اثر لها ولا نفع فيها وليست في محلها ، لقد إنتهى وقت العمل وجاء - بالموت - وقت الحساب .
 ﴿وَمَنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ أي من وراء هؤلاء البشر كل البشر وأمامهم برزخ وحاجز يمنع رجوعهم إلى عالم الدنيا والتكليف فلا يتمكنون من إصلاح الاعتقاد والسلوك والعمل النافع، إن وراء عالمهم وحياتهم الدنيا قبراً ومحلاً تستقر فيه أجسادهم : بعذاب أو بنعيم - مستمراً إلى يوم الدين يوم يبعثون لرب العالمين .

وهنا سؤال : ماذا بعد الموت وما يوجد في عالم البرزخ ؟ .

يستفاد من الروايات المحمدية : انه يوجد حساب أولي وتحقيق برزخي على الميت النازل في قبره ومستقره - يسأله الملكان : منكر ونكير عن إعتقاداته وعن أعماله ، وانه لا شفاعاة فيه ، وانه - بعد الحساب والتحقيق البدوي قبل القيامة - إما أن يصير القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران أي اما أن يعيش حياة معذبة أو منعمة حسب عمله في عالم التكليف الحياة الدنيا : فمن كان صالحاً في إعتقاداته وعمله - عاش النعيم وصار قبره روضة من رياض الجنة ، ومن عمل سيئاً أو إعتقد باطلاً- عاش الألم والعذاب وصار قبره حفرة من حفر النيران - كل واحد : يتعذب ويتألم ، أو يتنعم ويتلذذ حسب عمله ، وقد أشارت إليهما الآيات الأواخر من سورة الواقعة :

٢- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ أي عندما يقترب الأجل وتقرب الوفاة ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ إلى ملك الموت وأعوانه ولا تقدرُونَ على دفعه عنكم ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ ، ورد في الخبر الصحيح تفسير الإمام الصادق (عليه السلام) لقلوبه تعالى : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ﴾ في قبره ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ في الآخرة ، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ في القبر ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ في الآخرة ، وهذا الخبر واضح الدلالة على وجود النعيم والعذاب في القبر وعالم البرزخ كوجودهما في عالم القيامة .

والألم واللذة المذكوران - يأتيان على الروح المنفصلة عن البدن العنصري والجسد المادي ، والتي تقترب من الجسد المقبور حيث تحلّ في جسد مثالي لطيف يشبه الجسد العنصري الميت : فيرد العذاب والألم عليها ، أو يأتي النعيم واللذة ، روى الشيخ الكليني في (الكافي) خبراً صحيحاً يتضمن سؤال الصادق (عليه السلام) عن مكان أرواح المؤمنين إذا توفيت ، فأجاب: ﴿في روضة كهيأة الأجساد في الجنة﴾ وسئل عن أرواح المشركين فأجاب : ﴿في النار يعذبون﴾ ، وهذه العبارة : ﴿كهيأة الأجساد﴾ تؤكد حلول الأرواح المتوفاة في (أظلة) لطيفة وتعلقها بأجساد مثالية تشبه الأجساد العنصرية والأبدان المادية التي نحن عليها في عالم الدنيا فيرد النعيم أو العذاب على الأرواح الحالة في الأجساد المثالية، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ﴿إن أرواح كل

مؤمن ومؤمنة - أي بعد الموت - في قوالب من نور على منابر من نور ﴿ وقال مولانا الصادق (عليه السلام) جواباً عن سؤال عن مكان أرواح المؤمنين: ﴿ إذا قبضه الله تعالى صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا ﴾ وهذا يؤكد تعلق الأرواح بقوالب نورانية وأظلة - أجساد مثالية لطيفة - .

ومن هذه النصوص يتبين مراد الإمام الباقر (عليه السلام) من قوله في الميت: ﴿ ... حتى يدخل قبره ، فإذا أدخل حفرته ردت الروح في جسده وجاء ملكا القبر فامتحناه ﴾ والظاهر ردّ الروح في الجسد المثالي والقالب النوراني اللطيف المضاهي لجسده الميت ، وقد يكون ردّ الروح في جسده الحقيقي العنصري الميت والله أعلم .

٣- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ وطاعتي ومتابعة قرآني وسنة نبوي ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ عيشاً ضيقاً وعذاباً برزخياً ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ ومن الواضح تفصيل النذير والعقاب : معيشة ضنكاً وحشراً أعمى ، وقد صرح القرآن بالحشر يوم القيامة وليس قبله إلا عالم البرزخ فيعيش فيه عيشاً ضنكاً وحياة ضيقة وعذاب ، ثم في يوم القيامة يسأل العاصي ربه : ﴿ قَالَ : رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ ويجيبه إلقاء للحجة ودفعاً للشبهة ﴿ قَالَ : كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ طه: ١٢٤-١٢٦ ، هذا حال السيئين .

وفي مقابل السيئين في عالم الدنيا : جمع المؤمنين الذين آمنوا بآيات الله (عز وجل) وإنقادوا لأوامره وشريعته وديانته ، قال سبحانه :

٤- ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ إبراهيم : ٢٧ ، وهذه بشارة محفزة لكي يؤمن الإنسان بربه إيماناً صادقاً يظهر على سلوكيته وعمله صالحاً ، فهذا الذي يؤمن

بالله ويعمل صالحاً في عالم الدنيا والتكليف يثبته الله في المواطن الصعبة بقول ثابت يحميه من عذاب الآخرة- في القبر وفي القيامة- .
 بل إن بعض البشر ممن علت رتبته وعظمت علاقته بالله- أعني الشهداء في سبيل الله المقتولين في مرضاة الله وجهاداً في سبيله (ﷺ)-
 قد صرّحت بعض الآيات بحياتهم وعدم موتهم رغم انفصال روحهم عن جسدهم وعروض الوفاة عليهم :

5- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البقرة : ١٥٤ ، وهذا خطاب نهي متوجه إلى عموم البشر سيما الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وباليوم الآخر، وهو خطاب يدل على حياة الشهيد المقتول في سبيل الله وعدم موته ، لكن حياته ليست مثل حياتنا المادية الجسمانية التي نعيشها في عالم الدنيا ، بل هي حياة مخصوصة لعلها حياة مثالية ظلية تشبه ظلك وأنت واقف في الشمس ، هي حياة واقعية تحسّ باللذة وتشعر بالنعيم الذي أعدّه الله للشهيد في القبر وفي الآخرة ، فهي حياة حقيقية لكن لا نشعر بها ولا نحسّها مادياً كما نحسّ بحياتنا ووجودنا المادي الجسماني في عالم الدنيا .

ويؤكد هذه الحياة والشعور باللذة عند الشهيد : الآية الأخرى :

6- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران : ١٦٩ ، ومن الواضح أنها حياة فيها إحساس وشعور باللذة والنعيم ﴿أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من فضل الله (ﷻ) ومن إنعامه ورزقه وهم في قبورهم ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ورزقه، وهذا دليل على إحساسهم وشعورهم و سرورهم بما تفضّل الله عليهم من الحياة المنعمّة والرزق المرفّه، ومن حسن

حالمهم يتمنون مثل حالهم لإخوانهم الذين تركوهم في عالم الدنيا
أحياء ﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ
أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ آل عمران : ١٧٠ .

هذه آيات قرآنية ناطقة بحياة الإنسان البرزخية والتي تتوسط بين
الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة في القيامة ، وفيها إحساس وشعور
بالرزق الإلهي والنعيم الربوبي . وتوجد آيات غيرها لكن في هذه
الآيات كفاية لأنها ذات دلالة واضحة جلية على الحقيقة القرآنية - حياة
عالم البرزخ - ولا مجال للشك والتردد بعد وضوح البيان القرآني .

والسنة المحمدية المطهرة تنطق بشكل أوضح وبتفصيل أعظم
وبتصوير أجلى وأتم عبر أحاديث شريفة صادرة عن رسول الله (ﷺ)
وعن الأئمة من أهل بيته (عليه السلام) ، ولأجل البيانات القرآنية والمعصومية
أجمع علماء الإسلام قاطبة على الحياة البرزخية في القبر والمصحوبة
بإحساس اللذة أو الألم حسب عمله في عالم الدنيا، وقد كان رسول
الله (ﷺ) يكرر دعاءه : ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ﴾ ، نعرض
أحاديث مختارة مما ورد عن رسول الله (ﷺ) وأهل بيته (عليه السلام) :

١- قال أحدهم للإمام الصادق (عليه السلام) : جعلت فداك : إن الذنوب
كثيرة كبار ، فقال (عليه السلام) : ﴿ أما في القيامة فلكم في الجنة بشفاعة النبي
المطاع أو وصي النبي ، ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ فإنه لا
شفاعة فيه ﴾ فسأل الراوي : وما البرزخ ؟ وأجاب (عليه السلام) : ﴿ القبر منذ
حين موته إلى يوم القيامة ﴾ .

٢- قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ من أنكر ثلاثة أشياء فليس من
شيعتنا : المعراج ، والمسائلة في القبر ، والشفاعة ﴾ والمسائلة في القبر

هو تحقيق ومحكمة بدوية عن عمل الإنسان في عالم الدنيا وعن عقيدته : من هو ربه ؟ ومن هو نبيه ؟ ومن هو إمامه ؟.

٣- قال الإمام علي (عليه السلام) : ﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا ادْخَلَ حَفْرَتَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ اسْمَهُمَا : مَنْكِرٌ وَنَكِيرٌ ، فَأُولَ مَا يَسْأَلَانِهِ : عَنْ رَبِّهِ ثُمَّ عَنْ نَبِيِّهِ ثُمَّ عَنْ وَلِيِّهِ ، فَإِنْ أَجَابَ نَجَا ، وَإِنْ عَجَزَ عَذِّبَاهُ﴾ فسئل عن الولي وأجاب بأنه قيل للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : من الولي يا نبي الله ؟ قال : ﴿وَلِيكُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَنْ بَعْدَهُ وَصِيهِ ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ يَحْتَاجُ اللَّهُ بِهِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ ، لِأَنَّهُمْ عَرَفَاءُ اللَّهِ : عَرَفَهُمْ عَلَيْهِمْ عِنْدَ اخْتِامِ الْمَوَاقِيثِ عَلَيْهِمْ ، وَوَصَفَهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ هم الشهداء على أوليائهم والنبي شهيد عليهم : أخذ لهم موثيق العباد بالطاعة ، وأخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم الموثيق بالطاعة فجرت نبوته عليهم وذلك قول الله سبحانه : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ .

وسئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما لمن عرف ربه ونبيه ولم يعرف وليه ؟ فقال : ﴿مَذْبُذِبٌ ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَمَنْ يَضَلُّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ، ذَلِكَ لَا سَبِيلَ لَهُ﴾ ، وروي عن أم سلمة قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) : ﴿يَا عَلِيُّ إِنَّ مَجْبِيكَ يَفْرَحُونَ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ : عِنْدَ خُرُوجِ أَنْفُسِهِمْ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَشْهَدُهُمْ ، وَعِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقُبُورِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَلْقَنَهُمْ ، وَعِنْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ وَأَنْتَ هُنَاكَ تَعْرِفُهُمْ﴾ .

وسئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن الميت ماذا يسأل في قبره ؟ فأجاب:
يسأل ﴿ عن الحجة القائمة بين أظهركم ، فإذا عرفه وقال ذاك إمامي - يقال له : نَمَ أَنَا اللهُ عَيْنِكَ ، ويفتح له بابٌ من الجنة فما يزال يتحفه من روحها إلى يوم القيامة . ويفتح للكافر وللمنكر لنبوته محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أو وصاية علي وأولاده (عليه السلام) وللمتردد في عقيدته - يفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرِّها إلى يوم القيامة ﴾ . ويفهم من هذه الروايات :

أن المسئلة في القبر - ابتداءً - عن العقيدة والرأي هل يعتقد حقاً أم يعتقد باطلاً ؟ فيجازى المعتقد للحق بالخير والنعيم ، ويجازى صاحب الرأي الخيِّث والإعتقاد الباطل بالعذاب الشديد .

ثم يسأل عن عمله : فالملتزم بالواجبات المتورع عن المحرّمات وعن ظلم العباد فقبره روضةٌ من رياض الجنة ، والمقصر في أداء الواجبات أو المتسامح في فعل المحرّمات يصير قبره حفرةً من حفر النيران ، وأشد منه تارك الواجبات الشرعية - كالصلاة والصيام - أو فاعل المحرّمات باستمرارٍ - كالغيبة والنميمة والغناء وشرب الخمر والقمار والزنا ونحوها - ، وكلما زاد ظلمه أو جرأته على المحرّمات أو ترك الواجبات إشتدّ عذابه في القبر .

٤- قال الإمام الصادق (عليه السلام): ﴿ يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجه وصيامه وولايته إيانا اهل البيت ، وإن للقبر كلاماً في كل يوم - يقول: أنا بيت الغربية ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود، أنا القبر ، أنا روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النيران ﴾ .

٥- روى الصدوق في أماليه بسند متصل : كان علي بن الحسين (عليه السلام) يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا، ويرغبهم في الآخرة في كل جمعة في مسجد الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويقول :

﴿أيها الناس : اتقوا الله ، واعلموا أنكم إليه ترجعون ، فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وتجد ما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه﴾

﴿ويحك ابن آدم الغافل وليس بمغفول عنه ، يا ابن آدم إن أجلك أسرع شيئاً إليك ، قد أقبل نحوك يطلبك ويوشك أن يدركك وكأن قد أوفيت أجلك وقبض الملك روحك وصرت إلى منزل وحيداً فردت إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكان : منكر ونكير - لمسألتك وشديد امتحانك ، ألا وإن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أرسل إليك وعن دينك الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه﴾ وهذا تحقيق منكر ونكير مع المقبور : يسألانه عن عقائده وآرائه في عالم الدنيا .

﴿ثم - يسألانه - عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته ؟﴾ وهذا سؤال منكر ونكير عن أعمال الإنسان وسلوكياته في عالم الدنيا - ثم يقول الإمام (عليه السلام) ناصحاً واعظاً : ﴿فخذ حذرك وانظر لنفسك واستعدّ للجواب قبل الامتحان والمسئلة والاختبار : فان تك مؤمناً تقيّاً عارفاً بدينك متبّعاً للصادقين موالياً لأولياء الله لثاك الله حجتك وأنطق لسانك بالصواب فأحسن الجواب وبشرت بالجنة والرضوان من الله والخيرات الحسان واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان ، وإن لم تكن كذلك - لست تقيّاً موالياً - تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعميت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزّل من حميم وتصلية جحيم﴾ .

6- روى في (الكافي) و (أمالي الصدوق) عن الإمام الصادق

(عليه السلام) : ﴿إن المؤمن إذا أخرج من بيته شيّعه الملائكة إلى قبره يزدحمون عليه حتى إذا إنتهى به إلى قبره قالت له الأرض : مرحباً بك وأهلاً ، أما والله لقد كنت أحبّ أن يمشي عليّ مثلك ، لترين ما أصنع بك فيوسّع له مدّاً بصره ويدخل عليه في قبره ملكا القبر: منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى

حقوقه فيقعدانه ويسألانه: من ربك؟ فيقول: الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: من نبيك؟ فيقول: محمد (ﷺ)، فيقولان: ومن إمامك؟ فيقول: علي - فينادي منادٍ من السماء: صدق عبدي أفرشوا له في قبره من الجنة وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنة وألبسوه من ثياب الجنة حتى يأتينا، وما عندنا خير له، ثم يقال له: نم نومة العروس ﴿وذلك قول الله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَارُوحٌ وَرِيحَانٌ﴾ في قبره ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿وان كان كافراً خرجت الملائكة تشيعه إلى قبره يلعنونه حتى إذا انتهى إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، أما والله لقد كنت ابغض أن يمشي عليّ مثلك، لا جرم لتريّن ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتى تلتقي جوانحه﴾ أي تضنط أضلاعه مما يلي الصدر، وقال: ﴿ثم يدخل عليه ملكا القبر: منكر ونكير﴾ فسأله أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال: لا، بل ﴿يدخل عليه ملكا القبر: منكر ونكير في أهول صورة﴾ ويسألانه عن عقيدته وديانته فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب - ثم أوضح الإمام (عليه السلام) بأن الميت إذا تردد وتلجلج في جواب سؤالهما عن ربه وعن نبيه وعن إمامه نادى منادٍ من السماء: ﴿أفرشوا له في قبره من النار، وألبسوه من ثياب النار وافتحوا له باباً إلى النار حتى يأتينا، فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا يتطاير قبره ناراً، لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة - أي مكة المكرمة - لكانت رميماً، ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشاً﴾ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلُ مِنْ حَمِيمٍ﴾ في القبر ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ في الآخرة .

٧- قال الإمام الصادق (عليه السلام) : ﴿ ما من قبر إلا وهو ينطق كل يوم

ثلاث مرات : أنا بيت التراب ، أنا بيت البلى ، أنا بيت الدود ﴾ ثم قال : ﴿ فإذا دخله عبد مؤمن قال : مرحباً ، أما والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني؟ فسترى ما لك عندي - فستعلم كيف صنيعي بك ﴾ قال : ﴿ فيفسح له مدّ بصره ويفتح له باب يرى مقعده من الجنة ، ويخرج من ذلك شيء لم تر عيناه أحسن منه فيقول - المقبور المؤمن : يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك ، فيقول : أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه - أي عقيدتك الصحيحة - وعملك الصالح الذي كنت تعمله ، ثم تؤخذ روحه فتوضع في الجنة حيث رأى منزله ويقال له : نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنة تصيب جسده يجد لذتها وطيبها حتى يبعث ﴾ .

ثم قال الإمام (عليه السلام) : ﴿ وإذا دخل الكافر قالت الأرض : لا أهلاً ولا مرحباً بك ، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني ؟ ستري ذلك ، فتضم عليه - أي تضغطه الأرض - فتجعله رميمًا ويعاد كما كان ويفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار ﴾ ثم قال : ﴿ ثم إنه يخرج شيء أقبح من رأى ، فيقول - المقبور الكافر - : يا عبد الله من أنت ، ما رأيت شيئاً أقبح منك ، فيقول : أنا عمك السيئ الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث - عقيدتك السيئة - ثم تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار ، ثم لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها وحرّها إلى يوم البعث ويسلّط الله على روحه تسعة وتسعون نبيئاً - حية عظيمة - تنهشه ﴾ .

٨- روى محمد ابن أبي بكر كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو

يخاطبنا جميعاً : ﴿ يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت ﴾ ﴿ القبر فأحذروا ضيقه وضحكه وظلمته وغرْبته ، إن القبر يقول كل يوم : أنا بيت الغربية ، أنا بيت التراب ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود والهوام ﴾ ثم يبيّن الإمام (عليه السلام) خطاب الأرض للمؤمن وللکافر حسبما تقدم ، ثم يقول : ﴿ وإن المعيشة الضنك التي حدّر الله منها عدوّه

عذاب القبر إنه يسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعين تينياً - حية عظيمة - ينهش لحمه ويكسرن عظمه، يترددن عليه كذلك إلى يوم البعث يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تجزعوا لأجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واتركوا ما كره الله ﴿ أي فادّوا الواجبات من دون تقصير واتركوا المحرمات التي يبغضها الله منكم وبذلك تصونوا أنفسكم من عذاب القبر والمعيشة الضنك .

٩- روى الإمامان السجاد والباقر (عليهما السلام) وجابر بن عبد الله قول رسول الله (ﷺ) وهو يعرض حال عدو الله عند حمله إلى قبره، ومراده من عدو الله : من كفر بالله أو أشرك به أو عصاه بترك واجب أو فعل حرام فكان من أتباع الشيطان : ﴿ إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى حمّلته : ألا تسمعون يا أخوتاه إنني أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي : إن عدو الله - يقصد الشيطان - خدعني فأوردني - أي المهالك - ثم لم يصدرني وأقسم لي : إنه ناصح لي فعشني ، وأشكو إليكم دنيا غرتني حتى إذا اطمانت إليها صرعتني ، وأشكو إليكم أخلاء الهوى مؤوني ثم تبرؤوا مني وخذلوني، وأشكو إليكم إخواناً واخيتهم فخذلوني ، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وأثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني ، وأشكو إليكم مالاً منعت - ضيقت - فيه حق الله فكان وباله عليّ وكان نفعه لغيري وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريبتني - أي مالي - وصار ساكنها غيري ، وأشكو إليكم طول الثوى - الإقامة - في قبري، يا أخوتاه فاحبسوني ما استطعتم واحذروا مثلما لقيت فاني قد بُسرت بالنار والذل والصغار وغضب العزيز الجبار ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله - أي في طاعة الله - ويا طول عويلاه ، فما لي من شفيح يطاع ولا صديق يرحمني فلو أن لي كربة - رجعة - فأكون من المؤمنين ﴿ فما يفتّر - أي لا ينقطع أئينه - ينادي حتى يدخل قبره، فإذا أدخل

حضرته ردت الروح في جسده وجاء ملكا القبر فامتحناه ﴿ ، وكان الإمام
(عليه السلام) يبكي إذا ذكر هذا الحديث .

أقول : إذا كان الإمام المعصوم (عليه السلام) وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبكي عند تذكر حديث جده رسول الله ، فكيف حالنا ؟ نحن العصاة المتساحون في ديننا والمرتكبون للمعاصي باستمرار .

١٠- ورد في الحديث المحمدي : ﴿ إذا وضع الرجل في قبره يدخل عليه ملكان - واحد عن يمينه وواحد عن يساره - هما فظان غليظان يحضران القبر بأنيابهما ، وأصواتهما كالرعد العاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ، ومع كل واحد منهما مرزبة فيها ثلاثمائة وستون عقدة ، في كل عقدة ثلاثمائة وستون حلقة ، وزن كل حلقة كوزن حديد الدنيا ، لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يظلوا ما أقلوها ، هي في أيديهم أخف من جناح بعوض ، فيدخلان القبر على الميت ويجلسانه في قبره ويسألانه : من ربك ؟ فيقول المؤمن : الله ربي ، ثم يقولان فمن نبيك ؟ فيقول المؤمن : محمد نبيي ، فيقولان : ما قبلك ؟ فيقول المؤمن : الكعبة قبلتي ، فيقولان له : من إمامك ؟ فيقول المؤمن : إمامي علي ابن أبي طالب ، فيقولان له : صدقت ﴿ ثم قال : ﴿ والله ليسألن عن ولايته على الصراط ، والله ليسألن عن ولايته يوم الحساب ﴾ .

١١- قال الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) : ﴿ يجيئ الملكان : منكر ونكير إلى الميت حين يدفن : أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخدان الأرض - أي يشقانها - بأنيابهما ويطنان في شعورهما ، فيسألان الميت : من ربك ؟ وما دينك ؟ ﴿ :

﴿ فإذا كان مؤمناً وقال : الله ربي وديني الإسلام وشهد لمحمد (صلى الله عليه وآله) بالرسالة والنبوة ولعلي (عليه السلام) بالإمامة والوصاية - قال له : نمر نومة لا حلم فيها ، ويفسح له في قبره ويفتح له باب إلى الجنة ويرى مقعده فيها .

وإذا كان الرجل كافراً دخلاً عليه وأقيم الشيطان بين يديه فيقولان له :
من ربك وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري ، فيخيلان بينه وبين الشيطان
ويسلطان عليه في قبره تسعة وتسعين تنيباً ويفتح له باب إلى النار ويرى
مقعده فيها ولا يزال يتحفه من حرها إلى يوم القيامة ﴿ وفي خبر ثانٍ مشابه :
﴿ ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشاً والعقارب والشيطان يغمه
غمّاً ، ويظلم عليه قبره ثم يضغطه ضغطة تختلف أضلعه عليه ﴾
أي تتداخل أضلعه من جانب في أضلعه من جانب آخر .

١٢- قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ﴿ إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من
الدنيا وأول يوم من الآخرة مثل له أهله وماله وولده وعمله ﴾ أي تصور له
مثال يعبر عن ماله وتصور مثال يعبر عن أولاده وتصور له مثال يعبر
عن عمله ، وهذا خطاب بلسان الحال :

﴿ فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنني كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي
عندك ؟ فيقول : خذ مني كفنك ﴾ .

﴿ ثم يلتفت إلى ولده فيقول : والله إنني كنت لكم محبباً وإنني كنت عليكم
محامياً فماذا لي عندكم ؟ فيقولون : نؤديك إلى حضرتك ونواريك فيها ﴾ .

﴿ ثم يلتفت إلى عمله فيقول : والله إنني كنت فيك زاهداً وإنك كنت
عليّ ثقيلاً فماذا عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتى
أعرض أنا وأنت على ربك : فإن كان لله ولياً الولي هو من أطاع الله بفعل
الواجبات والتورع عن المحرمات قال سبحانه : ﴿ إن أوليائِهِ إِلَّا
الْمُتَّقُونَ ﴾ - ﴿ أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظرأً وأزينهم رياضاً
- ثياباً - وقال : أبشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم ، فيقول الميت :
من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح إرتحل من الدنيا إلى الجنة ... ﴾

﴿فإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ يَجْرَانِ أَشْعَارَهُمَا وَيَخْدَانِ الْأَرْضَ
بَأَنْيَابِهِمَا وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَابْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ،
فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ وَمَنْ دِينُكَ وَمَنْ نَبِيِّكَ وَمَنْ إِمَامُكَ ؟ .

فإِذَا قَالَ : اللَّهُ رَبِّي وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي وَالْإِسْلَامُ دِينِي وَعَلِيٌّ إِمَامِي ،
فَيَقُولَانِ : ثَبَّتَكَ اللَّهُ فِيمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : يُثَبِّتُ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، فَيُفْسِحَانِ لَهُ
فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصْرِهِ وَيَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ وَيَقُولَانِ لَهُ : نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ
نَوْمَ الشَّابِّ النَّاعِمِ وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿ .

﴿وَإِذَا كَانَ لِرَبِّهِ عَدُوًّا فَانْهَ يَأْتِيهِ أَقْبَحُ خَلْقِ اللَّهِ رِيَاشًا وَأَتْنَنَهُ رِيحًا
فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ أَبْشَرُ بِنَزْلِ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةِ جُحِيمٍ ،
فَإِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ الْمَلَكَانِ مَمْتَحِنَا الْقَبْرَ وَقَالَا لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ وَمَنْ نَبِيِّكَ ؟
وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، فَيَضْرِبَانِ يَافُوخَهُ - مَقْدَمَ رَأْسِهِ - بِمَرْزَبَةٍ
- فَأَسَ مِنْ حَدِيدٍ - ضَرْبَةً عَظِيمَةً ثُمَّ يَفْتَحَانِ لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَقُولَانِ لَهُ
: نَمَّ شَرِّ حَالٍ - مِنَ الضِّيْقِ وَضَغْطَةِ الْقَبْرِ - ، وَيَسْلُطُ اللَّهُ عَلَيْهِ حَيَاتِ الْأَرْضِ
وَعَقَابِهَا وَهُوَ أَمَّا فَتَنْهَشُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْرِهِ وَإِنَّهُ لَيَتَمَنَّى قِيَامَ السَّاعَةِ
مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ ﴿ .

١٣- روى في (نهج البلاغة) كتاباً لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى محمد
بن ابي بكر: ﴿ يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت:
القبر فاحذروا ضيقه وذنكه وظلمته وغربته ﴾ .

١٤- وروى في (نهج البلاغة) خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام):
﴿وبادروا الموت في غمراته - يعني في سكراته وعذابه - وأمهّدوا له قبل

حلولة وأعدوا له قبل نزوله ، فان الغاية القيامة وكفى بذلك واعظاً لمن عقل
ومعتبراً من الجهل ، وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الإرماس - يعني
القبر - وشدة الإبلاس - يعني اليأس والانكسار والحزن - وهول المطع
- يعني الاطلاع على الموقف والحساب يوم القيامة - وروعات الفرع
واختلاف الاضلاع - كناية عن ضغطة القبر - واستكاثك الاسماع وظلمة
اللد وخيفة الوعد وغمّ الضريح ودمه الصفيح ﴿ الحجر حول الميت في قبره .

هذه أربع عشرة رواية إخرتها لقوتها ووضوحها وقوة دلالتها
على واقع الحال - في عالم القبر والبرزخ - والذي لا تبلغه الافهام
البشرية وتغفل عنها النفوس الآدمية ، وهي صادرة عن النبي الرسول
المعصوم من الخطأ والكذب (ﷺ) أو من الأئمة الهداة والأوصياء
الثقة (عليه السلام) - تصلح مضامينها تذكرة للعارف أو تبصرة لغير العارف
وتعين المؤمن والمؤمنة بالله ورسوله (ﷺ) على إعداد نفسه للقاء الله
سبحانه- وهو أمر محتوم - ولدخول العالم أو المنزل اللاحق للحياة
الدنيا - أعني عالم القبر والبرزخ وعالم القيامة - ، أرجو أن تنفعني
وتنفع المؤمنين والمؤمنات وأتمنى من كل واحد أن يقرأها ويكرر
قراءتها في الشهر مرة على الاقل وعندما تزدهم عليه الشهوات أو تهجم
عليه إرادة المعصية أو الظلم ، فتكون هذه المضامين الصادرة من
المعصومين (عليه السلام) مانعاً عن ارتكاب المعاصي أو إنزال الظلم بأحد
فتصير حارساً له من عذاب القبر والقيامة . وبذلك نمثل الوعظ
الإلهي الرحيم - أعني ما جاء في الخبر الصحيح عن الإمام الصادق
(عليه السلام) : ﴿ جاء جبرائيل إلى النبي (ﷺ) فقال : يا محمد عش ما شئت فانك
ميت ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، وأعمل ما شئت فانك لاقيه ﴾ وهذه

موعظة لنا لنعمل صالحاً ونترك الظلم والعصيان حتى نلاقي جزاء ذلك في عالم القبر وفي عالم القيامة .

وينبغي أن نتذكر الموت وما بعد الموت لتقوى عندنا المناعة من المعصية والظلم والقبیح ، قال إمامنا الباقر (عليه السلام): ﴿أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكره إلا زهد في الدنيا﴾ وقال إمامنا الصادق (عليه السلام): ﴿إذا أعد الرجل كفنه فهو مأجور كلما نظر إليه﴾ وهذا من المستحبات الشرعية التي تعين على تذكر الموت والإنتفاع من ذكره لكي تحصل عنده مناعة عن المعصية ومعونة على الطاعة ، فقد حكي سؤال بعضهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله): أي المؤمنين أكيس؟ قال: ﴿أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً﴾ ، ومن الواضح أن الاستعداد للموت يتحقق بترك المحرمات الشرعية وأداء الواجبات الالهية من دون تقصير ، وقفنا الله جميعاً لذلك ، وهذه الأحاديث تعين على تذكر الموت وعلى الإستعداد له بالعمل الصالح وترك الحرام .

روى حبة العرنى - وهو من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي خرج معه إلى ظهر الكوفة فوقف بوادي السلام كأنه يخاطب أقواماً فقامت بقيامه حتى أعيتت - يعني : تعبت - ثم جلست ثم مللت ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ، ثم جلست حتى مللت ثم قامت وجمعت ردائي فقلت : يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة - أي حبذا إسترحت وأرحت بدنك وقتاً - ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال (عليه السلام) لي : ﴿يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته﴾ أراد (عليه السلام) أن يبين له إنشغاله بمحادثة أرواح المؤمنين ومؤانسته بهم ، وحبّة مؤمن لم ينكشف له ما هو مكشوف

لأمر المؤمنين فأراد (ﷺ) أن يبين حقيقة ما هو مكشوف له ومشغول به روحياً ، فسأله حبة ، فأجابه (ﷺ) : ﴿ لو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون ﴾ فسأل : أجسام أم أرواح ؟ فقال (ﷺ) : ﴿ أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه : إلهي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن ﴾ نسأل الله التوفيق - بالعمل الصالح والورع عن محارم الله تعالى - لأن تكون أرواحنا في وادي السلام مع أرواح المؤمنين بعد الرحيل عن عالم الدنيا .
 وفي الختام بعد الاعتقاد الوجداني بأن الموت حق واقع لا مخلص منه ولا مفر ، وبعد عرض النصوص الصادرة من أصدق الصادقين وهي توجب الإذعان بعالم القبر والبرزخ وسؤال الملكين في القبر وترتب العقاب أو النعيم فيه حسب حاله وعمله :
 أذكر نفسي وأخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات بقول أمير المؤمنين وزين الموحدين في نهج بلاغته : ﴿ أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم ﴾ يعني إن الدنيا دار وموضع نعيش فيه عمراً ومنتقل عنه إلى دار الآخرة وهي موضع قرار وإستقرار وخلود ، فينبغي منا سلوك الصراط القويم والإستعداد للقاء الله سبحانه بالعمل الصالح لناخذه معنا من دار الدنيا العابرة إلى دار الآخرة والمقر الخالد ، فينبغي منا الحذر عن معصية الله وترك ما حرّمه علينا ، فإن رقابة الله وملائكته علينا محكمة : إنه يعلم السرّ والعلن منا ، ثم قال : ﴿ ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ﴾ .
 وكان أمير المؤمنين (ﷺ) يدعو أصحابه للإستعداد والتهيؤ للقاء الله سبحانه والرحيل عن دار الدنيا ، فإن الموت حق وكل ما هو آتٍ

قريب ، وكان كثيراً ما ينادي أصحابه : ﴿ تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل ، وأقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد ﴾ زاد التقوى : العمل الصالح والورع عن محارم الله ﴿ فإن أمامكم عقبة كؤوداً ومنازل مخوفة مهولة ، لا بد من الورود عليها والوقوف عندها ﴾ نسأل الله سبحانه الامن والامان من تلكم العقبات والاهوال بحق محمد ﷺ وآله الاطهار عليهم السلام .

أسباب عذاب القبر ومنجياته

هي أسباب عديدة مترتبة شدةً وضعفاً حسب قوة كفره ، أو شدة فسقه عن أمر الرحمن وإنحرافه إلى طاعة الشيطان ، وكثرة ظلمه طيلة حياته الدنيا - يمكن الإشارة إلى بعضها بترتيب الأشد فالأخف :

أعظم أسباب عذاب القبر هو الكفر بالله أو إعتقاد الشريك له (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ): ﴿حدثني جبرئيل ﷺ: إن الكافر يضرب - في قبره - ضربة ما خلق الله شيئاً - دابة - إلا سمعها وتدعر لها﴾ أي تتخوف من شدة الضربة ، ثم قال: ﴿فنعوذ بالله من عذاب القبر﴾ ، وقد سبقت الروايات الناطقة بسوق الكافر إلى النار والجحيم في القبر وفي القيامة .

وأما المؤمن بالله سبحانه إذا صدر منه ظلم ، أو عصيان لله سبحانه ، أو تقويت حق الناس - لم يفلت من ضغطة القبر ولم يتخلص من عذابه ، نعم قد يخلص من ضغطة القبر وعذابه : التائب الصادق المطيع لله المجتنب عن محرماته المحافظ على حقوق الناس ، ولذلك ورد انه لا يفلت من ضغطة القبر إلا قليل ، وغالب الناس يعصرهم القبر ويضغطهم وينالهم عذابه حتى ورد في الخبر ﴿ليس من مؤمن إلا وله ضمة﴾ يضمه القبر لمعصية لم يتب منها ، أو لظلم لم يستبرأ منه ولم يرد على المظلوم حقه ، وقد سأل أبو بصير من الإمام الصادق (ﷺ) : أيفلت من ضغطة القبر ؟ أي هل يمكن أن يتخلص أحد من ضغطة القبر ، فأجاب (ﷺ) : ﴿نعوذ بالله منها ، ما أقل من يفلت من ضغطة القبر﴾ وورد سؤال على الإمام الصادق (ﷺ) عن المصلوب في الهواء إذا كان مستحقاً لعذاب القبر هل يعذب ؟ فقال : ﴿إن ربّ الأرض هوربّ السماء فيوحى الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه

ضغطة أشد من ضغطة القبر ﴿ فلا يفلت من الضغطة ولا يخلص إلا المؤمن الخالص الصافي المصفى وفقنا الله للاخلاص والخلص من ضغطة القبر .

وثمة أمور عظيمة أشارت النصوص إلى انها توجب المزيد من عذاب القبر ، نعرض لبعضها :

١- سوء الخلق مع الأهل وغلظة العلاقة مع العيال ، ورد في الأخبار حكاية حال بعض صحابة رسول الله الذي أحزنه (ﷺ) موته فشارك في تجهيزه وتشيعه بلا حذاء ولا رداء وشارك في دفنه وتسوية قبره ، فتمنت أم الصحابي الجنة لولدها ، فقال رسول الله (ﷺ) : ﴿ لا تجزمي على ربك فان ولدك قد أصابته ضمة ﴾ فسأل بعض الصحابة رسول الله عن هذا الخبر قال : ﴿ نعم انه كان في خلقه مع أهله سوء ﴾ .

٢- عدم التوقي من النجاسات وأشدّها البول فانه يوجب عذاب القبر حسبما روي عن رسول الله (ﷺ) : ﴿ استنزها من البول فان عامة عذاب القبر منه ﴾ والبول أشد النجاسات وهو مثال لعدم التوقي منها ، فان الله يحب التوابين المتطهرين ويغض غير المتوقين من النجاسات روي عن علي (عليه السلام) قوله : ﴿ عذاب القبر يكون من النميمة والبول وعزب الرجل عن أهله ﴾ وعزبه يعني إعتزاله عن زوجته وتقصيره في حقوقها .

٣- الغيبة والنميمة - روي عن رسول الله (ﷺ) في وصيته لأمر المؤمنين (عليهم السلام) وهي وصية لنا وتعليم لنا : ﴿ يا علي إحذر من الغيبة والنميمة فإن الغيبة تظفر - الصائم - والنميمة توجب عذاب القبر ﴾ والنميمة هي القول السيء الموجب لخراب العلاقات الاجتماعية وتفرق الاحبة ووقوع الفتنة بينهم ، روي ان رسول الله (ﷺ) مرّ بقبرين يعذبان فقال : ﴿ انهما ليعذبان : اما احدهما فكان لا يستتر من البول ، واما الآخر فكان يمشي بالنميمة ﴾ .



وهنا أودّ نقل حكاية - للوعظ والإرشاد وللتعرّف العملي على حالات
سكرة الموت وحساب القبر- رواها الشيخ المجلسي عن كتاب (الفضائل)
للشيخ الجليل ابي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي باسناد صحيح عن أصبغ
بن نباتة قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير المدائن في زمان أمير
المؤمنين (عليه السلام) وأتيته يوماً وقد مرض مرضه الذي مات فيه، فلم أزل أعوده
في مرضه حتى إشتدّ به الأمر وأيقن بالموت، قال : فالتفت إليّ، وقال : يا
أصبغ عهدي برسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : يا سلمان سيكلّمك ميت اذا دنت
وفاتك ، وقد إشتهيت أن أدري : وفاتي دنت أم لا ؟ فقال الأصبغ : بماذا
تأمر يا سلمان يا أخي؟ فقال: تخرج وتأتيني بسرير وتفرش عليه ما يفرش
للموتى ثم تحملني بين أربعة فتأتون بي إلى المقبرة، فقال الأصبغ : حباً وكرامةً،
فخرجت مسرعاً وغبت ساعة وأتيته بسرير وفرشت عليه ما يفرش للموتى،
ثم أتيته بقوم حملوه حتى أتوا به إلى المقبرة فلما وضعوه فيها، قال لهم : يا
قوم إستقبلوا بوجهي القبلة، فلما إستقبل القبلة بوجهه نادى بأعلى صوته :
السلام عليكم يا أهل عرصة البلاء، السلام عليكم يا محتجين عن الدنيا
السلام عليكم يا من جعلت المنايا لهم غذاء ، السلام عليكم يا من جعلت
الارض عليكم غطاء ، السلام عليكم يا من لقوا أعمالهم في دار الدنيا ،
السلام عليكم يا منتظرين النفخة الأولى ، سألتكم بالله العظيم والنبى الكريم
إلا أجبني منكم محيب، فأنا سلمان الفارسي مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانه قال
لي : يا سلمان إذا دنت وفاتك سيكلّمك ميت وقد إشتهيت أن أدري دنت
وفاتي أم لا . فلما سكت سلمان فاذا هو بميت قد نطق من قبره وهو يقول :
السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا أهل البناء والفاء المشتغلين بعرصة
الدنيا ، ها نحن لكلامك مستمعون ولجوابك مسرعون، فسل عما بدا لك
يرحمك الله تعالى .

□ قال سلمان : أيها الناطق بعد الموت والمتكلم بعد حسرة الفوت ، أمن أهل

□ اللجنة بعفوه؟ أم من أهل النار بعدله؟ .

فأجاب : يا سلمان أنا ممن أنعم الله عليه بعفوه وكرمه وأدخله جنته
برحمته .

فقال له سلمان : الآن يا عبد الله صف لي الموت كيف وجدته؟ وماذا
لقيت منه؟ وما رأيت وما عاينت؟ . فأجابه :

يا سلمان فوالله إن قرضاً بالمقاريض ونشراً بالمناشير لأهون عليّ من غصة
الموت ، أعلم إني كنت في دار الدنيا ممن ألهمني الله الخير وكنت أعمل به
وأؤدي فرائضه وأتلو كتابه وأحرص في برّ الوالدين وأجتنب الحرام وأفزع
عن المظالم وأكدّ الليل والنهار في طلب الحلال خوفاً من وقفة السؤال . فبينما
أنا في الدّ عيش وغبطة وفرح وسرور إذ مرضت وبقيت في مرضي أياماً حتى
إنقضت من الدنيا مدتي - أتاني عند ذلك شخص عظيم الخلقه فطبع المنظر،
فوقف مقابل وجهي - لا إلى السماء صاعد ولا إلى الأرض نازل - فأشار إلى
بصري فأعماه والى سمعي فأصمه والى لساني فأخرسه ، فصرت لا أبصر ولا
أسمع ، فعند ذلك بكوا أهلي وأعواني وظهر خبري إلى إخواني وجيراني ،
فقلت له : من أنت يا هذا الذي شغلتنني عن مالي وأهلي وولدي؟ فقال : أنا
ملك الموت أتيتك لأنقلك من دار الدنيا إلى الآخرة فقد إنقضت مدّتك
وجاءت منيتك . فبينما هو يخاطبني إذ أتاني شخصان وهما أحسن خلق
رأيت ، فجلس أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي فقالا لي :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، قد جئناك بكتابك فخذه الآن وانظر
ما فيه ، فقلت لهم : أي كتاب لي أقرأه؟ قالوا : نحن الملكان اللذان كنا معك
في دار الدنيا : نكتب ما لك وما عليك ، فهذا كتاب عملك : فنظرت في كتاب
الحسنات - وهو بيد الرقيب - فسرّني ما فيه وما رأيت من الخير ، فضحكت
عند ذلك وفرحت فرحاً شديداً ، ونظرت إلى كتاب السيئات - وهو بيد
العتيد - فساءني ما رأيت وأبكاني ، فقالا لي : أبشر فلك الخير .

ثم دنا مني الشخص الأول ف جذب الروح فليس من جذبة يجذبها إلا وهي تقوم مقام كل شدة من السماء إلى الأرض ، فلم يزل كذلك حتى صارت الروح في صدري ، ثم أشار إلي بحربة لو أنها وضعت على الجبال لذابت ، فقبض روحي من عرنين أنفي ، فعلا من أهلي الصراخ وليس من شيء يقال أو يفعل حولي إلا وأنا به عالم .

فلما إشتد صراخ الأهل وبكاؤهم جزعاً عليّ ، إلتفت إليهم ملك الموت بغیظ وحق وقال : معاشر القوم مم بكاؤكم ؟ فوالله ما ظلمناه فتشكوا ولا إعتدنا عليه فتصيحوا وتبکوا ، ولكن نحن وأنتم عبيد رب واحد ، ولو أمرتم فينا كما أمرنا فيكم لأمثلتم فينا كما إمثلنا فيكم ، والله ما أخذناه حتى فني رزقه وإنقطعت مدته وصار إلى رب كريم يحكم فيه ما يشاء وهو على كل شيء قدير ، فان صبرتم أجرتم ، وإن جزعتم أثمتم ، وكم لي من رجعة إليكم أخذ البنين والبنات والآباء والأمهات .

ثم إنصرف عند ذلك عني والروح معه ، فعند ذلك أتاه ملك آخر فأخذها منه وتركها في ثوب من حرير وصعد بها ووضعها بين يدي الله في أقل من طبقة جفن ، فلما حصلت الروح بين يدي ربي سبحانه وتعالى وسألها عن الصغيرة والكبيرة وعن الصلاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وقراءة القرآن والزكاة والصدقات وسائر الأوقات والأيام وطاعة الوالدين وعن قتل النفس بغير حق وأكل مال اليتيم وعن مظالم العباد وعن التهجد بالليل والناس نيام وما شاكل ذلك .

ثم بعد ذلك ردت الروح إلى الأرض باذن الله ، أتاني غاسل فجرّدني من أثوابي وأخذ في تغسيلي ، فنادته الروح : يا عبد الله رفقا بالبدن الضعيف فوالله ما خرجت من عرق إلا إنقطع ولا عضو إلا إنصدع ، فوالله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميتاً أبداً .

ثم أجرى الماء عليّ وغسلني وكفّنتني وحنّطني ... ثم أدرجني في الكفن وقال : هلموا إليه بالدواع ، فأقبلوا عند ذلك بوداعي فلما فرغوا حملت علي سرير من خشب ، والروح عند ذلك بين وجهي وكفني حتى وضعت للصلاة علي فصلوا علي ، فلما فرغوا من الصلاة وحملت إلى قبري ودليت

فيه فعاينت هولاً عظيماً ، يا سلمان : أعلم إنني قد سقطت من السماء إلى الأرض في لحدي وشرح علي اللين وحشي التراب علي ، فعند ذلك رجعت الروح إلى اللسان والقلب والسمع ، فلما نادى المنادي بالإنصراف أخذت في الندم فقلت : يا ليتني كنت من الراجعين فجاؤيني محيب من جانب القبر : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فقلت له : من أنت يا هذا الذي تكلمني وتحذني ؟ فقال :

أنا منبه ، أنا ملك وكلمي الله عز وجل بجميع خلقه لأنبئهم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عز وجل .

ثم إنه جذبني وأجلسني وقال لي : أكتب عملك ، فقلت : إنني لا أحصيه ، فقال لي : أما سمعت قول ربك : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ ثم قال لي : اكتب وأنا أملي عليك ، فقلت : أين البياض ؟ فجذب جانباً من كفني فاذا هورق وقال : هذه صحيفتك ، فقلت : من أين القلم ؟ قال : سبابتك ، فقلت : من أين المداد ؟ قال : ريقك ، ثم أملى علي ما فعلته في دار الدنيا فلم يبق من أعمالي صغيرة ولا كبيرة إلا أملاها كما قال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّهُمْ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ثم إنه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوقه في عنقي ، فخيّل لي أن جبال الدنيا جميعاً قد طوقوها في عنقي ، فقلت : يا منبه ولم تفعل بي كذا ؟ قال : ألم تسمع قول ربك : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ فهذا تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وكتابك بين عينيك منشوراً تشهد فيه على نفسك ، ثم إنصرف عني .

فأتاني منكر بأعظم منظر وأوحش شخص وبيده عمود من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما حركوه ، ثم صاح بي صيحة لو سمعها أهل الأرض لماتوا جميعاً ، ثم قال لي : يا عبد الله أخبرني من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وما عليه أنت ؟ وما قولك في دار الدنيا ؟ .

فاعتقل لساني من فزعه وتحيرت في أمري وما أدري ما أقول ، وليس في جسمي عضو إلا فارقني من الخوف ، فأتتني رحمة من ربي فأمسك بها

قلبي وأطلق لساني فقلت له : يا عبد الله لم تفزعني ؟ وأنا أعلم أنني أشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله وان الله ربي ومحمد نبيي والاسلام ديني والقرآن كتابي والكعبة قبلتي وعلي إمامي والمؤمنون إخواني، فهذا قولي وإعتقادي وعليه ألقى ربي في معادي .

ف عند ذلك قال لي : الآن أبشر يا عبد الله بالسلامة فقد نجوت ، وقد مضى عني وأتاني نكير وصاح صيحة هائلة أعظم من الصيحة الأولى فاشتبك بعضها في بعض كاشتباك الاصابع ثم قال لي : هات الآن عملك، فبقيت حائراً متفكراً في ردّ الجواب ، وعند ذلك صرف الله عني شدة الروع والفرع وألهمني حجتني وحسن اليقين والتوفيق فقلت : يا عبد الله رفقا بي فاني قد خرجت من الدنيا وأنا أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق والحساب حق ومسائلة منكر ونكير حق والبعث حق وأن الجنة وما وعد الله فيها من النعيم حق وأن النار وما أوعده الله فيها من العذاب حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، ثم قال لي : يا عبد الله أبشر بالنعيم الدائم والخير المقيم، ثم انه أضجعني وقال : نم نومة العروس، وفتح لي باباً من عند رأسي إلى الجنة وباباً من عند رجلي إلى النار ثم قال لي: يا عبد الله انظر إلى ما صرت إليه من الجنة والنعيم والى ما نجوت منه من نار الجحيم، ثم سد الباب التي من عند رجلي وأبقى الباب التي من عند رأسي مفتوحاً إلى الجنة فجعل يدخل علي من روح الجنة ونعيمها، ثم أوسع لحدي مد البصر ومضى عني .

فهذا حديثي وما لقيته من شدة الأهوال وأنا أشهد بالله مرارة الموت في حلقي إلى يوم القيامة ، فراقب أيها السائل خوفاً من وقفة السؤال .
ثم إنقطع عند ذلك كلام الميت وقال سلمان : حطوني رحمكم الله فحططناه إلى الأرض، فقال : أسندوني ، فأسندناه ثم رمق بطرفه للسماء وقال : يا من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وهو يجير ولا يجار عليه، بك آمنتم ولنبيك إتبعتم وبكتابك صدقت وقد أتاني ما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد إقبضني إلى رحمتك وأنزلني دار كرامتك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلّ على محمد وآل محمد إلهي إرحمني إذا عرق مني الجبين
وسكن مني الأنين وعجز عني الطبيب وبكى علي الحبيب .

إلهي إرحمني إذا وضعوني على المقتسل تغسلني صالح جبرتي
وتقلّبي أيدي أحبتي .

إلهي إرحمني إذا تناول الأقرباء أطرافَ جنازتي ووضعوني في
حفرتي وأهالوا علي التراب وودّعني الأهل والأحباب وفارقني النعيم
وانقطع عني النسيم .

إلهي إرحمني إذا نُسي إسمي وبلي جسمي وإندرس قبوري ولم يرزني
زائر ولم يذكرني ذاكر .

إلهي إرحمني يوم تُبلى السرائر وتبدي الضمائر وتُنشر الدواوين
وتُعلق الموازين .

إلهي إرحمني يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم .
إلهي إرحمني وإرحم أمي وأبي كما ربّيتاني صغيراً واجزهما بالإحسان
إحساناً وبالسيئات مغفرةً ورضواناً برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله
على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

الكلمة الأخيرة لسماحة آية الله العظمى العالم الرباني الشيخ محمد أمين المامقاني

قال الله سبحانه : وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ .

الموت رحمة الله على عموم عباده ومخلوقاته - ومنها الإنسان ينتقل به من عالم الأدنى إلى عالم البرزخ الأعلى فينعم الأتقياء بحسن فعالهم ويشقى الفاسقون والمنافقون والكافرون بسوء اعتقادهم وفعالهم ، وعلى كل امرئ أمن بالله ورسوله (ﷺ) أن يستعدّ لآخرته ويصلح عمله في دنياه ، وخير معين أن يتذكر عالم ما بعد الموت وما يجري فيه من الحساب والتحقيق البدوي فليعمل صالحاً في حياته الدنيا ويسعى أن يكون قبره روضة من رياض الجنة ، ويحذر من العمل السوء الحرام حتى لا يكون قبره حفرة من حفر النيران ، أعاذنا الله سبحانه من هذا المصير التعيس ورزقنا مرافقة الأبرار والشهداء والصلحاء في الدنيا والأخرى .

فالحذر كل الحذر - يا نفسي الأمانة بالسوء - من معصية الله سبحانه ومن ظلم العباد ومن التقصير في حق ذوي الحقوق ، أسأل الله النجاة من عذاب القبر ، وأن أحيى - فيما بقي من عمري - حياة محمد وآل محمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وأن أموت مماتهم وأن لا يفرق الله بيني وبينهم طرفة عين في الدنيا والآخرة ، إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين والسلام على محمد وآل بيته الطاهرين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبع بإحسان إلى يوم الدين .